ارتعاشة الاحساس

الحرية

للنشر والتوزيع

٥٧٤٥٦٧٩ـ ٣٦١٥٦٤٦

٠١٢/٣٨٧٧٩٢١

روايات أحلامي

• روايات أحلامى سلسلة رومانسية

تصدر عن الحرية للنشر والتوزيع

• كل شخصيات هذه الرؤاية من نسج الخيال،

واي تشابه بين هذه الشخصيات وشخصيات

حقيقية تكون بمحض الصدفة

تقــدم...

«روايــات أحلامــى»

نهراً من الحب... الحب الذى يلون الدنيا
بألوان الربيع.. الحب حيث لا خريف أبداً..
الحب حيث الورود والرياحين..
حيث الحيــاة..
روايات أحلامى... تُسهم بالحكايات عن زمن الحب
والأحبة فى هذا النهر الجارى والرائع «نهر الحب»
فتعالوا لنبحر فى نهر «أحلامى»
على أمواج الرومانسية.



حلبة الرقص

عندما تزوج فريدار من نيولا دول كان يخجل منها، ليس فقط لما كانت عليه وما فعلت، بل لجهلها أيضا. وكان متكدرا من حبها للبهرجة والحلى الرخيصة الحزينة، وللأختيال فى مشيتها والتباهى، وباهتمامها الطفولى بالزينة والبودرة والحمرة. وتقريبا فى كل شئ يمس احساسه، فقد كانت غير مثقفة ومن غير مبالاة... حول النذالة فى السياسة أو الدجل فى القانون، أو الأحتكار أو الفقر أو الإضرابات كان فكرها يمر على هذه الأمور مرور الزئبق فوق زجاج سميك. الدنيا لها هى مجرد حديقة تنمو فيها الزهور. والخير والشر، الشرف أو قلة الشرف... التواضع والجشع، كلها بالنسبة لها رموز فى القاموس وليس لها أهمية فى قلب الحياة أكثر مما للظلام

من تأثير على النمو..

الحرب فى نظر فريدار كابوس من الدم والدمار، أما بالنسبة لها فهى حقول فى البرارى حيث يجتمع الرجال تحت قوس قزح للاحتفال بالمجد. جشع الجنس البشرى نقمة ولعنة، وبالنسبة لها مجرد نزوة غريبة مذكورة فى الكتب المدرسية. وعندما يهتاج محتجا على كل هذا كانت تنظر إليه نظرة طفولية تظهر أنها لم تفهم شيئا.

ولأنه كان يخجل منها أصبح المعلم الذى لا يمل لها، مصمما على أن يجعلها هدفا لإفتخاره. وسوف يرسلها إلى المدرسة كما ذهب هو، حيث تصل إلى السمو الذى وصل هو إليه، وسوف تفقد اهتمامها بالأشياء البراقة السخيفة وتنظر إلى العمق حيث العظمة تكمن.. كان يتحدث إليها عن الفن، والعلوم، وكل ما تعلمه وحلم به محاولا تحريك النار فى دمها وأن يضع مصيرها على نفس طريقه، فكانت تنظر إليه، بغباء كالطفل، وعيناها مأسورتان بجدية كلماته، وأحيانا ترتجف يداها قليلا، ولكنها كانت دائما تستمع، لا إلى معنى كلماته، بل إلى الكراهية أو الحب.. أو للغضب والحزن فى نبرات صوته..

عليك الذهاب إلى الكلية كما ذهبت أنا.. يجب أن تحبى الكتب.

ولكننى أحب الكتب.

وما نوع الكتب التى تحبينها. سمى لى واحدا؟ أنت لا تحبى سوء المجلات السخيفة والقصص التى لا معنى فيها. وهناك شئ آخر.. عليك أن تتلقى أصول الأدب، أنت تبتسمين وتضحكين لأياً كان. يجب أن تتلقنى كيف تعرفين المنافق عندما تشاهدينه... لست أدرى لماذا أنت حمقاء هكذا. لديك الكثير لتعرفينه!

حسنا.. عرفنى..

يقولون علمنى! فلا أحد يعرفك على أى شئ!

واحمرت وجنتاها.

حسنا علمنى أنت.

لا أظن أنك ترغبين فى التعليم.

بل أريد.

إذا لماذا تستمرين فى عد كل رقم لوحده.. لقد علمتك العد مئات المرات. لماذا؟

لست أدرى

لأنك غير مهتمة.

ـ ولكن لدى الأهتمام!

أظهريه إذا.

أنسيت إننى لم (أذهب) إلى المدرسة كثيرا.

ها أنت ذا.. لِمَ ذهبت وليس لِمَ أذهب!

وفى اليوم التالى تسجلت نيولا فى أفضل مدرسة فى (سالت لايك سيتى) وقال فريدار أن عليها أن تدرس اللاتينية والإنجليزية.

ولكننى درست الأنكليزية.

اوه أجل ودرستِ الرجال معها.

لا.. لم أفعل..!

فى الأسبوع الأول أخذت تبرز له نتائج علاماتها. ونظر إلى بطاقتها وقال:

أنظرى إلى هذا علامة اللاتينية ضعيفة.. لماذا؟

أنا لا أحب اللاتينية فالمعلمة عجوز كثيرة التذمر.

أعتقد أنك تحبين أستاذ التاريخ، قيل لى أنه جيد.

فصاحت بحماس:

أجل.. أنا أحبه.

هل هو أفضل المعلمين؟

أجل.

والآخرون كلهن نساء.. أتعنى أن لك مشاعر حنونة تجاه الرجال فقط!

أنا لم أقصد هذا.

بل تقصدين. لو أن معلم اللاتينية رجل لأحببت هذه اللغة لو أن معلم الجبر رجل..

ولكننى أكره اللاتينية.

ولماذا لا تحبينها؟

لست أدرى... لا أفهمها. وليس لها معنى.

ومن أنت لتحكمى هكذا. هل تظنين نفسك حكماً جيدا؟

رُبَّ لا.

ربما لا.!

حسنا ربما لا.

إسمعى يا نيولا.. أحببت أن تستمرى زوجة لى فيجب أن تحبى اللاتينية.

حسنا.. ولكن رب إنك الوحيد.

حبيبتى.. ربما.. ألا تستطيعين القول.. ربما..

ربما.. هكذا أفضل.

عندما كان يأخذها للرقص، كان يكرس وقته لدراسة طريقة رقصها، يراقب كيف تضع يديها عليه، وما هى ردة فعلها إذا رقصا خدا لخد. أو عندما يمسك بها من خلف ويلامس.. صدرها، او عندما يدس ساقه بين ساقيها. إنها زوجته بالطبع ولا بد أن هذا قد بدى لها طبيعية، ومع ذلك، ومع ان هذه الأشياء من صميم طبيعة المراقصة، إلا أنها كانت تسجل له شيئا عن طبيعتها وروحها.

وقرر أن يتركها تراقص رجلا آخر. فقد كان واقفا بين الجموع ينظر من حوله فشاهد جميع الرجال ينظرون إليها.. وهم دائما هكذا، إذا مشى فى الشارع معها ينظرون إليها ويستديرون ليحدقوا بها بعد أن تمر، وهذا الأهتمام لم يكن يسعده.. بل يثير الغضب.. فهو يريد من الرجال أن يهتموا بشؤونهم وأن لا ينظروا بشهية إلى زوجته..

وتمنى لو أنها حدباء.. أو عوراء.. ولكن للحظات فقط... فخلف لمعان عينيها عتمة مبهمة، وشفتاها الحمراوان تبتسمان دوما لتبدو أسنانها الرائعة.

وكانت ترتدى ثوبا أحمر قاتم، والأحمر جزء منها، يشابه ما فى خديها.. ولاحظ فريدار أن النساء ينظرن إليها أيضا ولكن ليس بطريقة الرجال... وسألها:

هل أدبر لك شريكا للرقص؟

وتلاشت ابتسامتها، فقد تعلمت أن تشك بكل المعانى المخبئة فى أى شئ يقوله.. وأضاف مؤكدا:

لا بأس.. لن أمانع. أريدك أن تمرحى..

وفتشت فى وجهه عن الكذبة، ولكنه كذاب بارع.

وفتش حوله عن شاب لطيف يبدو عليه الصدق والغباء. وشاهد واحدا! أبله ضخم غير ممشط الشعر وأنفه معقوف. ولكنه غير رأيه فى آخر لحظة وقرر أن يدعوا لمراقصتها أكثر الشبان وسامة، وهذا الأمر لا ينبع من قلة احترام لنفسه أو من سخرية بل من القساوة والسادية التى تتملكه، فقد أحس بالرغبة، كما دائما، فى أن يجعل من ألمه مأساة. أراد أن يجعل من نفسه أضحوكة. أراد

أن يعرف ما يمكن لرجل وسيم أن يفعل مع زوجته، أراد كذلك، أن يصل بيأسه وعذابه إلى نقطة الإحتراق. وقال لها بهدوء:

هل رأيت أحدا تحبين أن ترقصي معه؟

ونظرت إليه.. ولكنه لم ينظر إليها فهو يعرف أن هدفه مكتوب في عينيه.. وطلب منها الأنتظار ثم غاب بين الناس. وعاد بعد بضع لحظات ومعه تلميذ جامعة: شاب طويل عريض وكأنه أدونيس. ولكن نيولا اختفت.. فقال:

أنا آسف، لقد تركت زوجتي هنا، ولكن الزوجات لا يبقين حيث تتركهن أليس كذلك؟

وأجاب الرجل بدهشة (ماذا؟)

ونظر فريدار بين الراقصين ليجد نيولا بين ذراعي رجل أسمر، فوقف مسمرا بذهول. وتذكر تلك المرأة عندما أخذها للرقص وهجرته لترقص مع شخص آخر، وسكر ثم أوقفه أحد المشاكسين أمام الحائط ولكمه على وجهه تمنى لو أن معه الآن ما يسكره...

أول انطباع تملكه أن يركض نحو الرجل الأسمر ويلكمه ويرميه أرضا. وثانياً أن يعود إلى المنزل. وثالثا أن

يجد مكانا يسكر فيه ويقضى ليلته فى ضياع. ولكن رابع فكرة هى التى أسلم نفسه إليها.. فقرر أن يجد له فتاة ويرقص معها لوحدها إلى أن ينتهى وقت الرقص.

وتحرك بين الجموع، يراقب نيولا، ويختبئ منها. إلى أن وجد سوزى بيركنز.. منذ ستة أشهر أوصل سوزى إلى منزلها من حفلة راقصة.. وقبلها.. ويذكر أن قبلتها كانت متشوقة ورطبة.. وأن صدرها ناعم وبارز، وأن ضحكتها مثيرة. ابن عمه. (لوك) قال له إنه يمكن أن يعرف العذراء من قساوة صدرها، ثم قال له:

المرأة التى سأتزوجها سيكون صدرها قاسيا، فلا أريد الزواج بفتاة تتلاعب مع الرجال...

وكان يفكر بهذه الكلمات وهو يقترب من سوزان:

مرحبا..

مرحبا.. أين كنت طوال هذه الشهور؟

اوه.. فى هذه الدنيا.

هل كنت فى اوروبا؟

لا.. كنت أجول فى أميركا فقط.. هل نرقص؟

ورقصا.. سوزان فتاة نحيلة لينة الجسد.. والتصقت به وكأنها الثياب رطبة، من رقبتها حتى ركبتيها، وعندما كانت تنظر إليه كانت ترفع رأسها فقط عن كتفه وتبقى صدرها وجسدها ملتصقان به.. وقالت له:

هل أنت سعيد لرؤيتى؟

بالطبع.

فتنهدت والتصقت به أكثر. ووضعت رأسها على صدره وأغمضت عينيها واستطاع أن يحس بالرغبة تضج فى داخلها. ويداها ترتجف فوق ذراعيه. ونظر من حوله.. لم تعد نيولا ترقص الآن، بل تقف لتتفرج.. وتنظر إليه وأخذ يقول فى نفسه (هيا! إذهبى وارقصى كما تشائين مع عنادك! فهذه لعبة يمكننا معا أن نلعبها!) ولكنه لم يحس بالسعادة.. فهذا زواج لا يشابه أبدا الزواج الذى حلم به.. وهذا ليس الحب، بل علاقة مجنونة لن تقود إلا إلى الإحتقار بينهما ثم الطلاق... ومع ذلك فسوف يلقنها درسا. لمرتين الآن أتى بها إلى الرقص وجعلته كالحمار فى المرتين. وليس لديها كرامة أو ذوق. ويتسائل أكثر من مرة إذا كان لديها عقل. إذا طلبها رجل

للرقص، تبتسم وتسلم نفسها إليه.

عندما انتهت الرقصة، أخذ يتحدث إلى سوزى ويراقب نيولا. ثم عاد إلى الرقص مع سوزى مرة أخرى، وشاهد رجلا يتقدم من نيولا ويتحدث معها وشاهدها تبتسم. وأمسك الرجل بذراعها ليقودها إلى حلبة الرقص، وارتجف غضبا، ولم يعد يرد على سؤالات سوزى.

بماذا تفكر؟

أنا؟ لا شئ.

وهل تفكر بما أفكر به؟

وبماذا تفكرين؟

يمكنك التخمين.

إنها فتاة مبتذلة، لماذا بحق الجحيم لا يستطيع رجل وامرأة أن يرقصا معا دون التفكير بلحمهما وما يمكن لهذا اللحم أن يفعل! ونظر من حوله إلى بقية الفتيات، واستطاع من تعابير وجههن أن يعرف ما يعتمر فى نفوسهن من مشاعر. وحدق بالرجل وكره نظراتهم الجسدية الحالمة. إذا الرقص ما هو إلا نوع من الأتصال

الجسدى مقنع تحت الملابس. وتمنى لو تكون له القدرة على أن يعرى الجميع ويجبرهم على الرقص وهم عراة، وبهذا يجبرهم على الأعتراف بما يفكرون. وتصور لو أن الرجال يقولون الحقيقة عن مشاعرهم لقالوا: (عندما أرقص مع هذه الفتاة، أفكر بجسدها الملتصق بجسدى. وأهوى أن أجد نفسى فى عناق معها...)

وأية امرأة ستقول:

(عندما أرقص مع رجل طويل ووسيم أحسب أننى ابتعدت عن نفسى وكيانى. وينتابنى إحساس دافئ لذيذ، وتبدو لى كل الحياة الجميلة) على الأقل أعلنت امرأة عن هذا فى كتاب.. الخونة! الجبناء! المنافقون! لماذا يكذب الناس حول الرقص؟ إنهم يقولون بكل نفاق أن الرقص رياضة رائعة!

ولاحق نيولا بنظراته.. كانت ترقص مع رجل متلاصقة معه، ولاحظ أن وجهها محمر وعيناها تلمعان.. وذلك الرجل بدا مسترخيا وكأنه مصاب بدوار. كل ما فيه بدا مركزا على فكرة واحدة، ويحترق شوقا لها. وكأنها الشعلة وقد خرجت من العتمة نحو الهواء. وتوقف فريدار

عن الرقص.. وسار بسوزى خارج الحلبة، وقال لها:

هل أنت هنا مع أحد؟

لا. إذا لنخرج من هنا.

حسنا.

وسار معها إلى بيتها وكانت ليلة جميلة.. لو استطاع فسيغوى هذه الفتاة الليلة. ولن يبقى معقدا إلى الأبد. وإذا كان للحياة القيمة الأولى، كما تبدو، فمن الأفضل له أن يقفز إلى حيث يمكن للرجل أن يسبح. إنه دائما يغازل فقط والغزل لوحده لعبة الصغار. وها هنا أمامه البحر، والبحر لمن يجرؤ على الغوص...

عندما وصلا إلى باب منزلها وضع يده على كتفها وقال:

هل ترغبين؟

وتحركت بسرعة لتلتصق به.

أجل.. والتفت إلى داخل الرواق المسقوف الموصل إلى منزلها بحثا عن سرير أو مكان يستلقيا فوقه، وفى الزاوية وجد خيمة مطوية فرشها فى مكان خفى عن العيون. ورفعها بين ذراعيه والقاها فوق الخيمة، ثم ركع

لكن ما أن لامس جسدها، ولاحظ الجوع البارز فيها. حتى أمسكه شئ ما، ولم يعد يستطيع معانقة هذه الفتاة، وعرف هذا، فاستدار مبتعدا، كارها نفسه.. ووقف على قدميه ونظر إليها.. ثم حوله، وخرج من الرواق إلى الشارع.. ثم إلى منزله.

كان يعيش فى غرفتين مظلمتين كئيبتين تحت منزل البروفسور (بوب) وجلس على حافة السرير يتساءل ماذا سيفعل.. لقد فكر مرارا من قبل أن يقتل نفسه.. لقد كان يحس بأن زواجه هذا زواج خاطئ.. ولقد ضجر من عاطفته العمياء.. كما ضجر تماما من دراسته أيضا. فمعلموه، كما اكتشف، يخافون من الحياة: محاضراتهم ضعيفة وكلام فارغ، وكل حواراتهم كانت تهربا من الحقيقة..

بينما كان يفكر بنفسه خلال الأسابيع التى مرت، كان يفكر بموطنه، بالنهر والشمس والجبال المنتشرة فوقه... وهو صغير كان يحس إنه مدفون هناك.. وأراد أن يتسلق الجبال وأن يصل إلى أعلى قممها... لينظر إلى البعيد... وكأنه لو فعل لشاهد طرقا يمكنه السير عليها.. أو برارى واسعة لا يواجه فيها حواجز.. والآن تتملكه نفس

الأحاسيس، وهنا، بالطبع يمكنه أن يمد بصره إلى أبعد.. ولكنه لن يجد طريقة.

أراد أن يهرب من كل البشر، فهو يكرههم دون أن يعرف لماذا هناك شخصيتان متملكتان فى نفسه.. أحداهما لطفل مرتبك.. يلاحظ كل شئ من حوله.. يسمع ويرى، ولكن لا يفهم ما هو الجرم الذى ارتكبه، بينما الجزء الآخر من شخصيته، كان قاسيا ومليئا بروح الانتقام ينظر إلى السخرية بسخرية.. وقال لنيولا: (الصدق والأمانة يجب أن يدفع ثمنهما.. فى الماضى كان ثمنهما السجن أو الشنق.. أما الآن فهو العزلة..).

وأخذ يشتم أصحاب المال الذين يكنزون مالهم بينما شبان آخرون يذهبون إلى الحرب ليموتوا.. فتابع.

المال هو تابوت العهد، والميثاق، والوصايا العشر لهذا البلد اللعين! والحرب هو كل ما تعرفه من صلاة. والجميع أنانيون.. وليلعنهم الرب! إنهم مثل يوضاس «هو الخائن من تلامذة المسيح»، يقبضون الثلاثين قطعة من فضة ويقبلون الوجوه ثم...

ومرت شهور مظلمة لم يستطيع فيها أن يفهم الحياة..

وأخيرا جاء شهر كانون الثانى، وتحول غضبه على الحياة إلى سكينة.. لقد قالت له نيولا أنها حامل. وغرق فى كرسيه وكأنها ضربته، وقال:

هل أنت واثقة؟ أجل.

هل كنت تتقيئين؟ أجل.

يا إلهى!

عندما تزوج فيدار لم يكن يعرف شيئا عن تحديد النسل. كان يعرف أن هناك طرقا، ولكنها ميسورة للأغنياء فقط، أما الرجل الفقير فهو محصور فى قانون لا يرحم، يقضى أيامه محاولا إطعام صغاره من صحته. ولم يكن يريد طفلا الآن، فقال لها:

سننجب الأطفال عندما نستطيع العناية بهم، عندما نصبح كبارا وأكثر حكمة لتربيتهم. بعض الرجال يفتخرون بغباء بالأبوة.. ولكن القدرة على الأنجاب، والتى يفتخرون بها، يشاركهم فيها للثيران والحمير..

وها هو الآن قد وقع فى الفخ. وسألها ثانية:

هل أنت واثقة؟ أجل..

ولاحظ فى عينيها وميض السعادة فصاح:

هذه ورطة كالجحيم! لماذا تريدين طفلا الآن؟

أنا لم أريده.

بل أردتيه، معظم النساء هكذا.. أنتن ترغبن فى عصبة من الأولاد وتردن من الرجل أن يدفع.. حسنا سأتطوع فى الجيش وأذهب إلى الحرب.

فرايدار!

لا تتملقينى! أيتها المرأة الأنانية اللعينة! العديد من الرجال قد يصلون إلى مراكز عالية لولا أن النساء يعلقن الأطفال فى رقابهم.

أنا لم أفعل هذا لوحدى.. تتكلم وكأننى أنا المُلاَمة.

لقد كنت المساعدة.. وأنت سعيدة لحصول الحمل.

لا.. لست سعيدة.

وأخذ يذرع الغرفة:

مـاذا سنفـعل.. ليس لدى المال. حـتى إننى لم أنه مدرستى بعد! سأتطوع فى الجيش وأذهب إلى الحرب.

لا.. لن تفعل.

بل سأفعل، إذا كنت ستنجبين طفلا يجب أن أقدم له شيئا.. سوف أحصل على بوليصة تأمين ضخمة، ثم أعرض نفسى للقتل.

لا تتكلم كالأبله!

اللعنة، ولكننى أبله.. عندما يأتى طفل إلى هذه الحياة من حقه الصحة والكرامة.. وليس أن ننجب أطفالا بالملايين ونتركهم يكبرون فى الجهل والقذارة! هؤلاء المتدينون يقولون أن من الأفضل أن يولد الطفل مشوها أو أبلها على أن يولد أبدا. أليست هذه هى التعاليم الدينية؟

ولكن ولدنا لن يكون أبلها.

وكيف تعرفين.. أنت تريدين الكثير من الأولاد، تملئين بهم الفناء، سبعة فى المطبخ وعشرون فى المدرسة. وعندها يستقبلنى الرئيس ويصافحنى مهنئا وتظهر صورى فى الجرائد... لو كنت ديكتاتورا لأطلقت النار على كل رجل ينجب أولادا لايستطيع إطعامهم وكسائهم وتعليمهم.

وبينما يفكر فريدار بأموره.. وصلته رسالة من واشنطن تدعوه للأنضمام إلى سلك الطيران، وعلم فيما بعد أن الرسالة مماثلة لأترابه فى الجامعة. وأحس

بالسـعـادة، فـمـع إنه يكره الحـرب إلا أنه يحب أن يكون مرشحا لأخطر ما فيها من الخدمات، كى تتوافر له طريقة درامية للموت. فالأفضل له أن يموت محترقا فى السماء على أن يطعن بحربه بندقية ويترك فى الوحل.

وذهب لفوره إلى الفـحص.. وذهب مـعـه إثنا عـشـر رياضياً ممن كانوا فى فريق كرة القدم الذى يلعب فيه... وكان واحدا من خمسة أعُلنت صلاحيتهم.

وعـاد مـسـرعـا إلى منزله.. وقـال مـحـاولا أن يتـحـدث بطريقة عادية.

حسنا.. لقد أصبحت مرشحا للطيران.

فنظرت إليه نيولا بخوف وتقدمت منه:

فيدار... أرجوك لا تذهب.

سأذهب فأنا لست بجبان.

ولكنك لا تؤمن بالحرب.

تخيلينى وأنا على ارتفاع عشرة آلاف قدم فى الهواء.. طائرة المانية تنسف خزان وقودى، وأقع أنا ملتهبا..

حبيبى أرجوك لا تذهب!

وهل تريدى أن أكون متهربا من الجندية؟

ولكنك لا تؤمن بالحرب.

لا اؤمن بها، فأنا لست مسيحيا. فلماذا أؤمن بها؟

إذا ذهبت فماذا سأفعل؟

تكونين أرملة حرب.. وسيكون لك الكثير من الرفقة، وستحصلين على معاش التقاعد.

وأخذت الدموع تنهمر على خديها، فأحس فيدار بالأسى عليها. ولمس شعرها، فأحست بالرعدة، وقال بلطف.

لا تكونى هكذا، يجب على المرء أن يموت فى يوم ما.. كلنا سنموت. وإذا لم أذهب سوف يأخذونى بالقوة.

يمكنك الذهاب إلى السجن.

لا.. عندها ستكرهينى.. سيكرهنى الجميع.

لن أكرهك.

أظن أنك ستفعلى.. ولكنى سأمضى خدمتى وأعود إليك.

إذا لم تعد، سأقتل نفسى.

لا تكونى سخيفة.. وماذا بشأن طفلنا؟

سأقتله أيضا.

حبيبتى.. لا تتكلمى هكذا.. سأعود.

ولكن لم يكن فى نية فيدار العودة، فهو يرى فى طريق الجندية سبيلا للخلاص. وعندما يصل إلى ساحة الحرب سوف يقفل الطريق أمام نفسه بالموت.. والسلام.

فالعودة إلى نيولا، والعودة إلى الشجار الذى لا طائل وراءه معها، أمر لا يملك الشجاعة لأن يفعله.

وفى شهر آذار، تم استدعائه نهائيا، وذهبت نيولا إلى محطة القطار لتودعه، وعندما احتضنته، لم تعد تتركه وأخذت تبكى وترتجف بين ذراعيه.. وكان فى ذهنه أمر واحد.. إنه سيترك هذه الفتاة التى يحبها.. وسيخرج من حياتها، ومن حياته إلى الأبد، ولن يراها ثانية.

حسنا.. إنه الوداع.

لا تقل وداعا.. بل حتى نلتقى.

أجل.. سأعود.

ووضع يداه على كتفيها وعيناه مبللتان.

نيولا إذا لم أعد فتذكرى إننى أحبك.. ولا تشكى فى

حبى إطلاقا.

لن أنسى أبدا، حبيبى أكتب لى دائما.

سأفعل يا حبيبتى..

وأخذت ترتجف من الحزن وحاول أن يبعدها عنه ولكنها التصقت به.

نيولا.. يجب أن أذهب.

تلك الليلة، وهو مسافر نحو الغرب أحس أكثر إنه ضائع. والسماء المليئة بالنجوم جعلته غريبا حتى على نفسه.. كل نجمة فى السماء شمس بيضاء، أكبر من هذه الأرض بملايين المرات. وأحنى رأسه فى زاوية العربة وبكى.. وبعد فترة توقف ومسح عينيه، ثم هز بكتفيه بعدم اكتراث. وهذه الهزة كانت تعنى أنه قد أعاد الإعتراف بالحياة. وسوف يترك مصيره مع مصير من يشاركه الرحلة الى المجهول.. ونظر إلى صورة نيولا وقبلها.. وهز رأسه بحزن.

في معسكر التدريب

جامعة (بيركلى) العسكرية وحرمها كانت رائعة فى شهر آذار... ونظر فيدار من حوله، وقد تعود على الشتاء القارس والعواصف الثلجية للربيع فى الشمال، ليعجب بالحدائق والأشجار المزهرة. كان الطقس كأنه حزيران فى موطنه. وأحس بالسعادة لأنه سيقضى بضعة أسابيع فى هذا المكان الشبيه بجنة عدن .. وسار لساعة متتبعا طرق المشاة الملتوية، متنشقا رائحة النباتات النامية. أو متسلقا التل لينظر نحو الغرب، ليرى صفحة البحر العظيمة.

ولكن.. لم يمضى فى هذا الهدوء سوى ساعة. وعندما تقدم إلى مكتب الخدمة، أعطيت له المعدات العسكرية العادية: بذلة قطنية وزوج من الأحذية العسكرية. ووقع على استلام الملابس وجمعها تحت ذراعه وتوجه نحو

الثكنة، وقد امتلأت نفسه بالحزن وتمنى لو أنه لم يلتحق.

وفى طريقه إلى الثكنة التقى بلارس أونجينى.. مدرب فريقه لكرة القدم فى الجامعة، فقال لارس:

مرحبا.. متى وصلت؟

هذا الصباح.

كيف سار كل شئ؟ هل أستطيع المساعدة؟

قل لى.. هل يتوجب على أن ألبس هذه الأشياء؟

اللعنة لا.. بإمكانك شراء بذلة.

وأراد فريدار أن يسأل كم تكلف البدلة، ولكنه لا يملك المال على كل الأحوال.. وسيكون بين هؤلاء الفتيان المُرفّهين كما كان فى الجامعة، الريفى الساذج الذى يرتدى البذلة القطن، وجلد البقر. لقد ظن أن فى الجيش ديموقراطية، ولكن كما فى أى مكان آخر، يسود نظام الطبقات.

ودخل الثكنة، ووضعوه فى أحد العنابر. فخلع ثيابه وهو ملئ بالخجل، خوفا من أن يشاهد أحد ثيابه الداخلية الممزقة وخبأها فى حقيبة بالية.. وارتدى بذلته ونظر إلى

نفسه وارتعد فالثياب كبيرة عليه كالكيس ولا شكل لها. و(الطماقات) الت لفها على طرف حذاءه بدت ضخمة.. وبقية الطلاب كانت طماقاتهم من جلد لامع، وأحذيتهم طويلة الساق ولّاعة. وشعرهم وعيونهم كانت تلمع كأحذيتهم.

وأحس فيدار أن الطلاب العسكريين فى الغرفة أخذوا ينظرون إليه. بعضهم مسرور يتسلى، والبعض مذهول بما يرى، وواحد فقط بدا أكثر ودية من الباقين، وتقدم من فيدار وسأله إذا كان يستطيع مساعدته، فقال:

لست أدرى.

وبدأ يعرق، ونظر بخجل إلى نفسه ثم إلى الشاب الذى تكلم:

أعتقد أن على شراء بذلة محترمة... كم تكلف هذه اللعينة؟

وحاول أن يتكلم وكأنما السعر لا يهمه.. وقال الرجل أن بذلة مفصلة بإحكام وأناقة قد تكلف سبعين دولارا مع الطماق والحذاء.

- ستحتاج إلى إثنتين.. يمكنك تدبير نفسك بهما.

شكرا.

إذا كان بإمكاني مساعدتك فاتصل بي.

- لطف منك.. وشكرا.

وغرق فيدار في فراشه، سبعين دولارا وهو لا يملك سوى ستة عشر. بالطبع سيقبض أجره، ولكن نيولا ستحتاج إلى مال. وعليه أن يبقى هكذا في بذلة القطن لمدة شهر.. لقد علق. لقد أقحم نفسه بيْن أبناء الأثرياء. إنها الأرستقراطية القاتلة.. له، وللملايين الشبان قبله، الذين لا يملكون سوى الملابس المسجلة لهم، ليس هناك سوى سلاح المشاة، البندقية والحربة والموت في الوحل.

وجلس لفترة طويلة فوق السرير، وكم تمنى لو يستطيع أن يهرب. وعند المساء، لاحظ أن الجميع يستعدون للحلاقة، وكلهم لديهم معدات حلاقة فخمة إلا هو فلا يملك سوى موس عتيق، وفرشاة صغيرة سخيفة قد بدأت تخسر شعرها، ومشط قد خسر عدة أسنان.

وتبع فيدار زملاءه إلى غرفة الأغتسال.. حيث يحلقون ذقونهم.. من وقت لآخر كان واحد منهم ينظر إليه، وحاجباه مرتفعان بابتهاج لطيف.. وكانت النظرة تشمله من حذاءه إلى وجهه.. وأحس بالخوف والمرض. وخبأ

الموس والفرشة والصابون فى ثيابه.. وأخذ ينتظر قرب غرفة الأغتسال بانتظار فرصة سانحة ليدخل.. وأخيرا أصبحت الغرفة مهجورة. فدخل بسرعة. وأخذ يفرك الصابون على وجهه بذعر، ودخل أحد الطلاب.. فتظاهر بأنه يغتسل فقط.. وفتح الشاب حقيبة جلدية، وأخرج منها أدوات حلاقة لامعة، وعلبة بودرة وكريمات، وما لا عدّ له من الغرائب والنفائس لم يشاهد فيدار مثلها من قبل.

وعاد إلى الثكنة، وخبأ أدواته الرثة وخرج من الغرفة ثم توجه إلى البلدة ليحلق.. فى طريق الذهاب لم يشاهد أحدا، وعند العودة تقدم منه الحرس وسأله:

أين كنت؟ فى البلدة أحلق.

ومن أعطاك الإذن؟

إذن؟.. لم أكن أدرى أننى بحاجة إلى إذن.

– ما أسمك؟ فيدار هنتر.

حسنا يا هنتر. سأقدم بك تقريرا.

فى الصباح التالى، استيقظ باكرا، وعندما شاهد الرجال من حوله قفز من سريره، وارتدى بسرعة وذعر، محاولا إخفاء واقع أن ليس لديه. بيجاما. ولم يكن يدرى

ما سيحدث له إذا تأخر. ثم شاهدهم يرتبون اسرتهم، فحاول أن يفعل مثلهم.. وبدأت الأسرة الأخرى تبدو مرتبة وملساء أما سريره فلازال يبدو عليه آثار النوم؟ وحاول ثانية، وبينما هو يركع على ركبتيه يعمل على ترتيب السرير سمع رجلا يتكلم. فى البداية لم ينتبه، ولكن الصوت تكلم ثانية وكان حادا وغاضبا. فنظر إلى الرجل فوجده ضابط متألق. ووجد أن الطلاب الآخرين قد اصطفوا وكأنهم الأصنام.. وسأله الضابط:

ما أسمك؟ فيدار هنتر.

متى وصلت إلى هنا؟

يوم أمس.

قل لى (يا سيدى)! انهض!

ونظر فيدرا إلى الرجل القصير الغاضب، إلا أنه لم يتحرك.. فقد تملكه غضب أسود قاتل.. وصاح به الضابط:

قلت لك انهض!

ووقف فصاح الضابط ثانية:

انتباه – استعد!

ونظر فيدار حوله فهو لا يعرف كيف (يستعد).. فرعد الضابط:

ضع كعبيك معا!

وضم فيدار كعبيه، فعاد الضابط للصراخ:

أدى التحية!

وقام فيدرا بحركة تنم عن الجهل.. وللحظات طويلة أخذ الضابط ينظر إلى ذلته مطولا، دون شفقة. ثم التقت عينا الضالبط بعينى فيدار، وكم كره فيدار ما بدا فى تلك العينين.

وأخذ يحضر صفوف التعليم، وكلها كانت غموضا لا حل له بالنسبة إليه.. سمات للمحركات، حجرات الأحتراق فيها، أجهزة الأمداد بالوقود كلها مكتوبة بخط اليد وبلغةغريبة عليه. كان يستمع إلى التعليمات دون أن يفهم عما تتكلم.. لكن بدا أن الطلاب من حوله فاهمون. فقد كانوا يسجلون الملاحظات ويرسمون ويسألون.. وكان فيدار بدوره يسجل ويرسم، ولكن رسوما ممسوخة لما يرى رسائل لنيولا.

ولعشرة أيام عانى هذا العذاب النفسى. كان يجر نفسه من مهمة إلى مهمة. وبكل شجاعة يحاول أن لا يقرأ ملخص ما هو عليه فى عينى الآخرين. الحرب مجرمة، لا

فـرق لديـهـا أن تقـتـل الرجل فـى أبهـى حلة أو فـى بذلة من قطن أو صـوف:فـالموت سوف يسـاوى بين الطبقات ويعطى أى جندى الكمية نفسها من التراب.

ولكن أمـا أن انتهت العشرة أيام حتى لم يعد يحتمل أكـثـر. وقـرر الرحـيل.. ولو لم يسـتطع أن يحـصل على صـرف شريف من الخدمة... فـسوف.. يفر: أى شئ كى يتخلص من هذه الأرستقراطية الغبية.. وفى صباح أحد الأيام قدم نفسه أمام القيادة.

وضرب اعقابه ببعضهما وحيا.. ولخمس دقائق كاملة وقف جـامـدا يتـجـاهله الجـمـيع.. إنه يعلم أنهم رأوه.. ولكنهم تركوه هكذا يقف عند الباب. وأخيرا نظر كولونيل، يتفوق بمظهره على نابليون، إلى فريدار وقال:

حسنا.. ماذا تريد؟

أريد أن أحدثك يا سيدى.

تكلم، لازال لسانك معك.. أليس كذلك؟

وتقـدم فـريدار من الطاولة ووقف مـسـتـعـدا. ولفت إنتبـاهه أن الضبـاط ينظرون إليه، فنظر بدوره فـى عينى الكولنيل الزرقاوين. وقال:

أريد ترك هذا المكان.

قل يا سيدى عندما تتحدث إلى ضابط. ماذا تعنى بقولك؟

أعنى يا سيدى أننى سئمت هذا المكان.. وأريد أن تسرحنى..

وساد صمت ثقيل.. ولم يتنفس رجل واحد. ولفترة طويلة. وبدا الكولنيل مذهولا. ثم قال بحدة:

لقد سئمت هذا المكان! ماذا تعنى؟

أعنى يا سيدى إننى لم أحب الروح السائدة فيه.

وأخذ الضباط ينظرون إلى بعضهم البعض، ونظر الكولونيل إلى مساعديه وكأنه يقول: هل رأيتم مثل هذه الإهانة من قبل؟ ثم حدق بفريدار وقال بصوت أجش:

أوضح ما تفكر به! بالضبط!. وإختصر!

أظن يا سيدى، أن طلاب الطيران هؤلاء مجموعة من المتزمتين المتباهين، ولا أحب نفسيتهم. فمن المؤسف أن نجد التباهى الإجتماعى فى الحياة المدنية. ولكن من السخرية ان نجدها بين رجال قد يواجهون الموت معا وأعتقد

وصاح الكولنيل مقاطعا:

هذا يكفى! لست اهتم بما تعتقد!

سيدى.. لقد طلبت منى أن أكون صريحا.

لقد قلت ما يكفى! أنت تهين كل ضابط فى هذه الغرفة!

ونهض الكولنيل عن كرسيه، ووجهه متجهم من الغضب، ونظر من حوله، ثم إلى فيدار.. ولكن فيدار لم يكن مستعدا لأن يخاف الآن. لقد انخرط فى الجندية سعيا للموت ولن ترهبه حفنة من الضباط. وفى الواقع كان يتمتع بأغضابهم. فتابع:

إعذرنى يا سيدى ولكنك لم تتركنى أكمل.

وصاح الكولنيل:

أتركك..تكمل؟ أيها المغرور! سأرميك فى بيت الكلاب!

سيدى.. هذا لا يهمنى، فافعل ما شئت، ولكن دعنى أولا أنهى ما كنت سأقوله.

وحدق الكولنيل به، وقد أسكته الذهول. بقية الضباط بدأوا بالهمهمة.. وانتهز فريدار هذه الفرصة ليكمل:

أنت ترانى يا سيدى فى بذلة من القطن.. وهى كل ما

أملك وكل ما أستطيع أن أملك، فأهلى من الفقراء.. ولم يتعلموا بعد كيف يجعلون الآخرين يعملون لهم.

وضرب الكولنيل على الطاولة بقبضته:

هذا يكفى!

وعلى الفور، وكأنه شعلة عود الكبريت، اشتعل فريدار بالغضب. وخطا إلى الأمام.. وقابل نظرة الكولنيل الغاضبة، وتكلم بوحشية وصوته يرن:

لقد تطوعت لأقاتل! ولم أجئ لأوضع مكان كلب! لقد أتيت لأسير هنا ألبس الصوف وحذاء الجلد.. اختال وكأننى ديك رومى! ولكننى لم أفعل! يجب أن يكون هناك روح ديموقراطية هنا! ولكن لا يوجد سوى تباه واختيال! وأنا أكره هذا! فافعل بى ما تشاء! ارمنى فى بيت كلابك اللعين! أخرجنى إلى الخارج واطلق النار على بتهمة التمرد! ولست آبة بما ستفعله! ولكنك لن ترهبنى بتلويحك اللعين بالعقاب، لذا فمن الأفضل أن تتوقف عن المحاولة!

وأصبح الآن يرتجف من قمة رأسه إلى أخمص قدميه وقد أصبح وجهه أبيضا من الشحوب. وغاص الكولنيل فى كرسيه كالمصعوق.. ونظر إلى ضباطه.. وسألهم:

ماذا نفعل به؟

فقال أحدهم:

نصرفه من الخدمة. لا نريد أمثاله معنا.

فقال فريدار:

شرط أن يكون صرفا مشرفا.

ورعد الكولنيل:

إخرس! ستأخذ ما نعطيك إياه! وسيكون أكثر مما تساوى!

حسنا اجعله صرفا غير مشرف كما تشاء.

وبعد ساعة كان فريدار يسير عبر شارع (مارتن) فى سان فرانسيسكو ويدخل أحد المبانى ليقدم أوراقه ويحصل على صرف مشرف من الخدمة وأجرة سفره إلى بيته.. ولم يشعر أبدا من قبل فى حياته، ولا فى السنين التى ستلى، ولا أحس ولا سيحس مثل هذه الراحة الكبيرة. ودخل حانة وشرب، إلى أن أجهده السكر فخرج ليجد طريقه إلى أقرب محطة قطار.

رسالة إلى نيولا

خلال الوقت الذى أمضاه فريدار فى كلية الطيران، كانت نيولا قد انتقلت عائدة إلى موطنها الأصلى (انتيلوب).. وإلى هناك سيتوجه الآن.. منذ ستة أشهر غادر ذلك المكان وهو يظن أنه لن يعود إليه أبدا.. ولكن تلك التلال كانت جزءا منه.. جغرافيتها تبرز فى كل ما يفعله، فى روحه، فى أفكاره.. وإلى أى مكان يذهب أو مهما فعل، ستبقى معه.. وسيبقى النهر فى أحلامه...

واستقل سيارة فى مدينة إيداهو... فأوصلته إلى مفرق الطريق الموصلة إلى انتيلوب فنزل منها، وتابع طريقه سيرا.. وما أن اقترب، حتى شاهد عند قمة طريق مرتفعة، نيولا تقف على باب منزلهما.. وما أن شاهدته.. حتى زلت راكضة إليه، وفتح لها ذراعيه...

ورمت بنفسها عليه.. وتعلقت برقبته، ووضعت وجهها على وجهه.. وهى ترتجف من السعادة وضحك لها.

وأبعدته عنها لتنظر إليه.. ثم قالت:

حبيبى! اوه أيها المغفل الكبير السخيف!

أنا سكران.. ألا يمكنك ملاحظة إننى سكران؟

أيها الشاب السخيف.. عار عليك!

لست خجلا أبدا.. أحب أن أسكر تعالى معى..

وأخذت تجره إلى المنزل.

لا تفعلى هذا.. يجب أن تصغى إلى، أنا سكران وسأسكر حتى أموت... هل ترغبين فى السكر معى.

لا..

حسنا تعالى معى.. يجب أن أشترى ما أسكر به.

ولكن عندما انتهت نوبة غضبه توقف عن الشرب وأخذ يعمل كأجير وعملت نيولا طباخة فى مزرعة (كوت وات) وكانت المزرعة أكبر مزرعة تستقبل العمال، ومديرها، القصير البدين، كان يثير من حوله جوا من الإقطاعية،

كذلك زوجته، امرأة ضخمة بوجه سميك ميت، تدعى (ليزى بو) وكانت تطلب من وقت إلى آخر أن يقدم لها الأفطار فى سريرها، وكانت تتمطى وكأنها رئيسة نادى البريدج. وكان ـجوهن بو) يلبس ثياب سباق خيل كاللوردات، ويركب جواده ليجرى به فوق الحقول.

فى البداية، أثارا اهتمام فريدار، ولكن بمرور الأيام بدأ الأمر يزعجه، وإيماءاتها المتكبرة أخذت تثير غضبه. كان لديه انطباع أن أهل الريف، بمعظمهم، لم يتأثروا بالمظاهر وبأنهم واقعيون، وبأن أهل المدينة مراوغون، غير صارمين وفاسدى الأخلاق.

وأخذ يتساءل فيما لو كان يتبع الآن طريقا أعمى جديد. وهل أن الطبيعة البشرية تتشابه فى كل أرض وكل محبط؟ أم أن مكان إقامة الإنسان تجعل منه إما ملاكا أو شريرا؟ وإذا لم يكن الأمر هكذا فمن أين نمت هذه التقاليد البشعة؟

وقال لنيولا:

أعتقد أننى كنت مخطئا. وأعتقد أن أهل الريف ليسوا أفضل من أهل المدينة. انظرى إلى عائلة (بو) أنهما

مـحـتـالان خـسـيـسـان! ألن يكون أى رجل فى الريف، لو أعطى الفرصة، بنفس طغيانهما وإستعبادهما للناس مثل أهل المدينة؟

وكـــان هـذا الكلام، ودون وعى منه، أولى عـــلامـــات الرفض الأجتماعى فيه.. كل مـا عرفه أنه قد واجه مشكلة أخرى لها الأهمية الأولى، ثم أضاف بعد لحظة تفكير:

لو كتبت يومـا قـصـصـا عن أهل الريف فسـاقول فـيـهـا الـحـقـيـقـة. وسـوف أحـاول الـتـفكـيـر لماذا كـان الكتـاب متعاطفون مع أهل الريف؟

فنظرت إليه نيولا بحزن:

ستكون مشغولا بالتأكيد، ولو حاولت التفكير بنصف ما تقوله فلن يكون أمامك وقت لعمل أى شئ آخر.

لست أهتم.. سوف أسعى لمعرفة الحقيقة.

ولكن أكثر ظرف كان يزعج فريدار هو حمل نيولا. وبمرور الصيف، كان يراقب تلك الفتاة النحيلة تنمو إلى فتاة لا شكل لها وكأنها قد ابتلعت كيسا من الحنطة. لم يكن قد شاهد من قبل امرأة حاملا ولا يتذكر، وكلما نظر إليها كان يفكر كم كانت رشيقة...

نيولا لن تعود أبدا لتمتلك ذلك الجسد الشاب. وسوف تعرض أوراكها وتصبح سمينة مترهلة. وبعد أن ترضع الطفل، سوف يصبح صدرها مرخيا، بعد سنة واحدة أو اثنتين، وكأنهما كيسين فارغين تحت ملابسها. ومع ذلك فالنساء، يلتصقن بالطبيعة البيولوجية التى لا ترحم، وينجبن الأطفال فى أنانية جشعة إلى الأمومة.ويتوقعن من الرجال أن يكونوا من نفس النوع المحب الحنون. يتوقعن من الرجل أن ينسى الإنتفاخ الرهيب، والتقيؤ وآلام المخاض.. والدم... وقال لنيولا فجأة:

سأعود للتطوع فى الجيش.

وتقدمت منه محاولة استرضائه، ولكنه نظر إلى جسدها.. وانفجر بالضحك، ضحكته كانت عنيفة ومريرة حتى إنها جفلت منه. وترك غرفته، ومرَّ أمام المنزل ولا يزال يضحك، ونظر إليه آل (بو) بذهول.. فصاح:

أعطيانى حسابى! فسأترك العمل.

وبقى يضحك طوال الليل...

فى اليوم التالى، ذهب مع نيولا إلى (ايداهو فولز) ليعيش مع شقيقته ووالديه فى شقة مظلمة حقيرة. ولكنه لم يذهب للتطوع. وبكت نيولا وتوسلت إليه إن يبقى معها.

طفلنا.. يجب أن تفكر به.. على الأقل انتظر إلى أن يولد.

وفكر فريدار به، وأدرك أنه مدين له بالواجب، فقرر أن ينتظر:

ولكن هناك فرصة كبيرة بأن يستدعوني للخدمة.

ربما ستتوقف الحرب.

تتوقف؟ لن تتوقف طالما أن هناك أغبياء مثلي يقاتلون لأجل عائلة روكفلر ومورغان...

أوائل آب عادت نيولا إلى موطنها (انتيلوب) وأرادت أن يجيء فريدار معها ولكنه لم يكن يريد أن يكون معها عندما تلد الطفل. وبقي في المدينة، وهو الآن يعمل في كاراج والده.

ووصل مزارع من انتيلوب.. وصاح بفريدار:

أتعلم ما حصل؟.. لقد أصبحت أبا!

وحدق بالرجل، وقال ببرود:

وماذا في الأمر؟ الكثير من الأشياء تصبح أبا. ولابد إنك أنت أب كذلك.

وجلس فريدار في سيارة وتوجه بها إلى عند نيولا.. وهو يسير نحو المنزل، بدا أن يعاقب عليها، فها هو رجل

ضائع يناضل للقمة عيشه، وبين يديه طفل، صبى،ولد له من لحمه ودمه. وقد يقتل عما قريب ويبقى ولده ليكبر ويتزوج وينجب، وهذا كله كالكابوس...

ودخل المنزل فشاهد نيولا فى الفراش، شاحبة وضعيفة وصاحت عندما رأته:

حبيبى! حبيبى، تعال وانظر!

وتقدم من السرير، ونظر إلى الطفل.. فسألته:

ألست سعيدا.

لست أدرى.

إنه صبى! ألست مسرورا لأنه صبى؟

لست أرى أى فرق.

وأمسكت نيولا بذراعه:

ألن تقبلنى؟

فتقدم وقبلها.. فقالت:

والآن قبله!

ونظر بقرف إلى الطفل:

لا.. إنه طفل بشع!

كيف يمكنك قول هذا؟ إنه يشبهك.. أمى قالت هذا.

وحدق بولده متفحصا:

يشـبـهنى؟ أعلم أننى بشـع وقـذر، ولكن لم أكن أعلم أننى بهذه البشاعة.

له أنفك.. وفمك.. وأذناك!انظر.

كلام هراء.. وأمر تافه.

حبيبى.. عيناه كعينيك... أنظر.

اوه.. بحق الله! كل الأطفال يقال إنهم يشبهون أهلهم! وهذه سخافة غبية!

ولكنه يشبهك تماما..

أقول لك إنه طفل عادى، مثل العديد أمثاله!

حبيبى ألست سعيدا؟

لست أدرى.. سـهل أن يحـصـل المرء على أولاد، ولكن ليس من السهل توفير حياة شريفة لهم.. واعتقد أنك كنت تتمنين أن تلدى توأما.

لا.. كل ما رغبت به واحد فقط.

بل أنت تتمنين لو يكون عندك أولاد يملأون مخزن غلال وكل النساء هكذا.

فريدار.. أرجوك قبله لمرة واحدة.

لا. حبيبى أرجوك.

وانحنى فوقه ليقبله

بعد اسبوعين وصلته رسالة الاستدعاء للخدمة العسكرية..

حسنا.. لقد سوى أمر كل شئ... وأحس فريدار بالراحة. وكتب فورا إلى شقيقه يسأله إذا كان سيذهب إلى العسكرية معه. وجاءه الرد على الفور: (إنها حياة كلاب التى نحياها.. والله يعلم أن من الأسوأ علينا أن نجلس هكذا نقرأ عما يجرى دون أن نشارك. بلغ حبى لنيولا.. مارتيل).

وجاء مارتيل، وتقدما معا إلى شريف المقاطعة، وقال له فريدار:

أنا وأخى نريد الذهاب معا، أهناك مانع؟

وبرم الشريف شاربه.. وفكر قليلا، ثم التفت إلى مساعديه:

ما رأيكم

وفكر بقية أعضاء المجلس، وكأنما مصير الأمة متعلق بما سيقررون.. وطرحوا العديد من الأسئلة، ثم قال الشريف:

ولماذا يريد أخوك أن يذهب معك؟

نريد أن نقتل معاً.

وهل أهلك.. هم م م... ما هى جنسيتك..؟

اميركى.. ألا يكفى هذا؟

هل أنتما من أصل.. المانى؟

المانى.. وما الفرق؟

اجبنى..

جدنا كان المانيا، والآخر هولندى، وجدتنا انكليزية والأخرى ايرلندية، وفيها القليل من الدم الهندى..

فهمت.. حسنا..

وتابع فريدار كلامه:

أحد أجدادى حارب فى حرب الثورة، والآخر فى حرب سنة ١٨١٢. ووالد والدى فى الحرب الأهلية.

اوه.. وهل هذا صحيح. مع أية جهة؟

مع الشمال.. وما الفرق؟

فارق كبير.. تقول أنك ألماني جزئيا؟.. سأقول لك ماذا.. سندرس المسألة مع هاموند المسجل لهذه الدفعة.

وفي المساء جاء هاموند إلى فريدار. كان ضخما ومترهلا، وانفجر باكيا.. وقال وهو ينتحب كالأطفال:

هذا أمر رائع منك! فا.. فأنا.. متزوج ولدي طفل صغير.

قال كلمة طفل وعلا بكائه والنحيب. فنظر إليه فريدار بشفقة:

وأنا لدي طفل أيضا. عمره أسبوعان.

لديك.. لديك طفل!.. هذا مؤسف جدا.. مؤسف جدا!

أضف إلى هذا أن شقيقي هو الذي سيذهب بدلا عنك.. وليس أنا، فإذا أردت شكر أحد، فاشكر شقيقي..

وصافح هاموند فيدار وذهب يفتش عن مارتيل، وأخذ يرتجف من العرفان بالجميل وقدم له الهدايا. وقال صائحا:

لن استطيع شكرك كفاية.. يا إلهي لن أستطيع أبدا!

ولكى يحتفل آرثر هاموند بحظه السعيد، استعار بندقية صيد وذهب ليصطاد البط.. فأصيب بالتهاب رئوى.. ومات بعد أسبوعين!

وفى الصباح التالى توجه فريدار وميرتبل إلى محطة القطار.. وكان أهلهما معهما. والدهما جو لم يظهر أى أشارة على حزنه، ولكن عندما حاول من خلال دموعها وقالت:

كونا حذرين.. أعلم أنكما ستعودان.

أجل سنعود.

حسنا.. الوداع!

وصعدا إلى الحافلة.. وأقلع بهما.

عندما وصلا إلى سان دياغو) ومعهما تسع متطوعين ريفيين. استقبلهم (سارجنت) وقادهم عبر شارع معتم وهو يصيح بالأوامر وكأنه يقود هجوما فى الضباب. وصعدوا إلى مركب أقلتهم عبر الخليج، ثم تسلقوا مرتفعا، وممر صعب، إلى أن وصلوا إلى مخيم فى أعلى التل.. وبعد بضعة دقائق كان فريدار مستلقيا فى سريره الصغير، ونظر إلى أخيه.

حسنا.. ها نحن الآن داخل الجيش.

أجل.. واستطيع تنشق رائحة لحم الجياد المعلب.

والفاصوليا ورائحة الملح.

لنتعلم التدخين.. سنكون جنودا سيئين إذا لم ندخن.

وسنشرب ونلاحق النساء.. والله يساعد الفتاة التى تمر بقربنا.

أجل ليساعدهن الله، فسوف يعرفن بماذا يفكر الجندى.

ونام فريدار وهو يفكر بأخيه، منذ سنتين لم يكن هكذا. ويبدو الآن أنه قد رمى بكل مُثله فى الهواء وسيتعلق بالشرب والنساء.

فى الصباح دعيت الفرقة للأنتظام إنها فرقة المدفعية (د ٢٦) ونظر الليوثاننتجاكس قائد الفرقة إلى الرجال، ونظر فريدار إليهم بدوره بعضهم من ايداهو ومونتانا وكليفورنيا، ولكن معظمهم من نيومكسيكو. وكانوا سمرا، وبدا العديد منهم كالهنود، وكالمولدين، المختلطى الأصل..

هل بإمكان أحدكم الطباعة على الآلة الكاتبة؟ من يعرف ليرفع يده.

ورفع فريدار يده، ثم نظر من حوله ليجد أنه الوحيد الذى رفع يده، وتقدم جاكس منه.

هل أنت طابع على الآلة الكاتبة؟

أجل يا سيدى.

تعال معى.. سارجنت ستروم، هذا الرجل يطبع على الآلة الكاتبة.. جد إذا كان يعرف جيدا.

وجلس فريدار إلى الآلة وأخذ يتلاعب بالمفاتيح والرجلان يراقبانه. وقال ستروم:

عظيم.. ستكون كاتب الفرقة.

وعندما غادر جاكس.. أخذ ستروم يتحدث إلى فريدار كرجل لرجل.. هذه فرصة حظ، كما قال، فالكاتب لا يفعل شيئا: فلديه وظيفة وكسولة. وفى بضعة أيام سوف يترقى إلى رتبة عريف، ثم يصبح سارجنت (رقيب) عندما تصل الفرقة إلى اوروبا.

وأخذ فريدار يعمل بكد فى طباعة التقارير.. وبعد يومين علقت على ذراعه شريطتان وأصبح العريف هنتر الآن، واعتز بسلطته وفخره الجديدين.

ولكن فرحه لم يدم طويلا. فقد مر أسبوع وفاجأته الحقيقة. وجدها مارتيل.. فقد أتى مارتيل معه ليكونا جنديين معا. يحاربان جنبا إلى جنب عندما عاد مارتيل يوما من التدريب نشاهد فى عينيه المرارة والألم والأزدراء. فذهب فريدار فورا إلى السارجنت ستروم وقال له:

لا أريد هذه الوظيفة.. أرجوك أن تحصر كاتبا آخر وتجردنى من رتبتى.

وما الأمر الآن؟

أريد أن أبقى نقرأ عاديا فى الميدان.

هذا هراء! أنت الكاتب وستبقى هكذا.

سارجنت أرجوك.. أفعل هذا لأجلى.. لقد أتى شقيقى معى.. جاء بدلا عن شخص آخر كى نكون معا. وقسما بالله لم أفكر جيدا عندما قبلت الوظيفة! ولا أريدها!

لا تكن سخيفا.. أنت الطابع الوحيد لدينا.

ولكننى لا أريد الوظيفى..! لقد كنت خائنا لأخى!

حسنا، لن نستطيع فعل شئ الآن. جاكس سوف

يضحك عليك.

وذهب فريدار إلى خيمة الليوثاننت جاكس. فحياه ووقف متأهبا.. فقال له جاكس:

ماذا هناك؟

سيدى.. لا أريد أن أكون كاتب الفرقة. أريد أن أكون جنديا عاديا مع أخى.

ودهش جاكس.. وقال:

ولكنك كوربرال الآن:

سيدى.. لا أريد أن أكون (كوربرال) أرجوك انزع رتبتى وانزلنى إلى صفوف الجنود.

وابتسم جاكس ونظر إليه. ولم تعجب هذه البسمة فريدار.

كوربرال هنتر.. عد إلى عملك!

ولكن.. سيدى. أنت لم تفهمنى.. اخى أخذ مكان...

كوربرال هل سمعتنى؟

أخذ مكان شخص آخر.. فعل هذا لنكون معا.. أرجوك سيدى..

ووقف جاكس عن كرسيه ووجهه متلبد بالغضب:

كوربال.. ليس هناك مكان للعواطف فى الحرب.. عد إلى عملك.

وعاد فريدار إلى خيمته، وقد أصبح يكره عمله ويكره نفسه. إنه مستعد. إنه مستعد أن يدفع حياته ثمنا لإبعاد تلك النظرة المتألمة عن عينى شقيقه. وكما كان يفعل فى طفولته، وضع الألم فى داخل نفسه ولم يتكلم.

وأصبح جاكس يكره فريدار، وكان الكره متبادلا.. وأصبح علنيا. بعد ظهر أحد الأيام دخل أحد الرتباء الخيمة وتكلم مع جاكس ثم خرج.. فقال جاكس لفريدار:

كوربرال هنتر، أذهب وقل للسارجنت أوكنز أننى أريد رؤيته.

وذهب فريدار وحيا أوكنز وأبلغه الرسالة ثم عاد وحيا جاكس:

يقول الرجل يا سيدى إنه سيحضر بعد دقيقة.

واستدار جاكس فى كرسيه ونظر إليه.

اسمع يا هنتر.. أنت فى الجيش - أتعلم هذا؟

أجل سيدى.

إذا ماذا تعنى بدعوتك لسارجنت اوكنز (رجلا).

ولماذا.. إنه رجل أليس كذلك يا سيدى.

كوربال هنتر.. ليس هناك (رجال) فى الجيش.. فى الجيش هنا جنود وضباط.. هل تفهم هذا؟

أجل يا سيدى.

حسنا، اذهب وقل للسارجنت إننى أريد رؤيته على الفور.

وخرج فريدار من الخيمة وهو يغلى من الخجل والغضب.ولكن بعد يومين تغيرت طباعه، وتغير رأيه بجاكس وبحياة الجندية. فقد جلس إلى آلة الطباعة ليجد عليها رسالة، إنها رسالة من جاكس إلى أمه.. رسالة كلها عاطفة، وإلى جانبها السخط على تكبر رؤساءه... ولم تكن الرسالة منتهية بعد.. وذهب فريدار نحو المدخل وتطلع من حوله فلم يجد أحدا... وعاود قراءة الرسالة من جديد.. وكم أعجبته، وأخذ يفكر بها ليومين.. ثم كتب رسالة إلى نيولا..

ولكن فريدار لم يكن سعيدا فى الأسابيع التى تلت. فروحه المعنوية كانت مستسلمة للقضاء والقدر مثله مثل الرجال من حوله.. وفى خلال شهرين اكتسب ستة كيلوات زيادة إلى وزنه. وكذلك ازداد شقيقه مارتيل.. وكان ينظر إلى الرجال من حوله بروح الأخوة.. كان يحبهم جميعا.. ويحس بشئ عميق لا يمكن وصفه فى كلمات لهذا النظام الجديد الذى يربطهم ببعضهم البعض.

ولم يتغير رأيه بعد بالحرب، فلازال يكرهها ويكره الطمع والجشع الذى يحركها.. ولكن هناك شئ ما.. هنا فى قلب هذه الفرقة... يمتد إلى ما وراء المجازر.. إلى شئ نظيف... شئ أبعد من أن يحدد.. كما فى العبادات، هناك شئ أبعد من الصلوات.. كما فى الشعر، هناك أبعد

مما هو مكتوب. ولكن ما هو... إنه لا يدرى.

حتى فى عينى مارتيل، الذى كان طوال عمره هادئا ومبتعدا عن المشاكل.. أصبح فريدار الآن يرى فى عينيه بريق أسود... فمن مراهق نحيل.. نما رجل قوى عريض الكتفين.. وأحس مارتيل بقوته الجديدة.. فأصبح متكبرا.. متحديا.. ولكنه لم يسع إلى المشاكل، ولم يبتعد عنها كذلك.

عندما كان فريدار بقرب نيولا.. كان دائما يؤنبها ويشتمها... ولكنه هنا، كان يشعر بالحنان والرغبة إلى دفئها. وأخذ يصب ما فى قلبه من حب لها فى رسائل مجنونة.. ورسائلها له كانت الشئ الوحيد الذى يعيش لأجله.. كان يقرأها مرات ومرات حتى إنه حفظها عن ظهر القلب.

فى أحد الأيام الأولى لشهر تشرين الثانى، وسفرهم إلى الجبهة بات قريبا.أخذ رسائلها إلى أعلئ التل وجلس هناك يعيد قراءتها.. وتقبيلها. وأخذ يفكر.. إنه يحس بالحزن العميق.. ليس على نفسه فقط ولا من أجل نيولا.. بل على من حوله فى هذا المخيم أيضا. ونظر إلى البعيد.. إلى المحيط الهادى... وعيناه مبللتان بالدموع، ولم يعد

يستطيع الرؤية. أخبار الهدنة كانت منتشرة فى المخيم، فهل هذا صحيح لقد أتى الأمل بالسلام كريح باردة عبر المحيط، ريح مالحة ونقية.

وجلس فريدار مع أخيه يتحدثان:

الحرب هى الحرب.. وما الفرق أن يموت الرجل على سريره أو من جرّاء انفجار قذيفة؟

فرد عليه مارتيل:

هناك فارق كبير.. فالميتة من انفجار قذيفة ميتة نبيلة وشريفة أكثر.

أجل.. أنت على حق.

وصمتا للحظات وهما يفكران ثم سأله فريدار:

كيف تشعر؟

عظيم، وأنت؟

على ما يرام حتى ان.. ميرت... لدى سر أقوله لك.. سوف نسافر بعد يومين إلى الميدان.

صحيح؟ شكرا لله.

سيكون الأمر جحيما لنا او مرض أحدنا وإن بقيت هنا.. اعتنى بنفسك.

ولكنهم لم يسافروا.. فقد جاء ستروم وكأنه رجل حكم عليه بالإعدام:

لقد انتهى الأمر اللعين.. ووقعت الهدنة.

أتعنى أننا لن نذهب.

اللعنة، لقد سمعتنى! سمعتنى! لقد انتهت الحرب.. انتهت!

وذهب فريدار إلى خيمته وقال لمارتيل:

لقد انتهى الأمر.. توقفت الحرب.

ماذا؟ يا إلهى.. هل أنت واثق؟

لقد قال لى ستروم إنه مستاء جدا.

عندما يتحضر الرجل للحرب يعيدونه إلى بيته ليلعب بالثلج... متى سنعود إلى بيوتنا؟

لست أعلم.. ولست أهتم.

وذهب فريدار إلى أعلى التلة، وجلس يفكر ، إنه سعيد بانتهاء الحرب لأجل من يقاتل، ولكن هو، ماذا سيفعل

الآن؟ سيعود إلى عذاب لقمة العيش، إلى نيولا وإلى الطفل. لو أنه قتل لكانت نيولا قبضت عشرة آلاف دولار، وتزوجت رجلا أقرب منه إلى قلبها ونسيته. أما الآن فعليه أن يعود ليستأنف حياته من حيث تركها.. إلى عنفه إلى كراهيته، إلى معركته.. أما الآن وبعد أن سعى إلى السلام فى عالم الحرب عليه أن يعود إلى الحرب فى عالم السلام... وبعد ثلاثة أسابيع كان فى طريقه إلى منزله.

كان قد مرَّ على طلوع الصباح زمن طويل عندما وصل الشقيقان إلى (ايداهو فولز)، ونظر فريدار إلى القطار وهو يبتعد ثم يختفى. ثم جمعا أغراضهما وذهبا إلى منزل صغير معتم. وأسرعت شقيقتهما إليهما ورمت بنفسها بين ذراعيهما، وتقدمت الوالدة إلى تقبيلهما. وسأل فريدار أين هى نيولا فقالت شقيقته أنها فى الفناء الخارجى تعلق الغسيل. فخرج من المنزل.

وشاهد نيولا، فتوقف للحظات يحدق فيها، كانت شاحبة جدا ونحيلة جدا. بين كل ما يذكره عنها ستصبح هذه اللحظة الأكثر إشراقا. فتاة طويلة ومتألقة، ضعيفة ووحيدة، تعلق حفاضات الطفل فوق الشريط. وتحرك من

جديد، وعندما سمعت حركته استدارت وفتحت فمها من الذهول ثم صاحت:

اووه.. يا حبيب قلبى!

صوتها كان مختنقا بالعجب والحزن. وقال لها:

أنت حبيبة قلبى...

قبل فمها الأبيض الشاحب.. وتراجعت إلى الوراء لتنظر إليه.

حبيبى هل هذا أنت؟ لا أستطيع التصديق!

هذا أنا.. بالتأكيد.

وضمته إلى صدرها ويداها مقفلتان خلف ظهره وكأنها لا تريد أن تتركه أبدا.. وقالت:

كم كنت أحس بالوحشة! لقد اشتقت إليك كثيرا!

وتبللت عينا فريدار بالدموع.. ونظر إلى البعيد، إلى تلال انتلوب.. وصمم على دفع حزنه إلى البعيد.. وقال لها وهو يرتجف للمستها:

أحبك!.. أحبك!! أحبك!

وأنا أحبك يا حبيبى.. هل أنت سعيد لرؤيتى؟

سعيد، وأنت تعرفين هذا.

ولجأت إلى واحدة من اندر ما تفعله، فأمسكت بوجهه بين راحتى يديها وأخذت تقبل عيناه الدامعتان وخديه وقالت محاولة أن تبدى المرح:

والآن.. يجب أن تدخل لترى طفلنا.

وأخذت بيده لتقوده إلى المنزل.. ودخلا غرفة النوم ونظر إلى الصبى، فقالت:

أليس حلوا؟

أعتقد، أنه كما كان.

يا حبيبى إنه أجمل من الكلمات!

ولاحظ خيبة أملها.. فجذبها إليه وقال:

بالطبع هو رائع.

ألن تقبله؟

أقبله؟ أكيد.

وانحنى فريدار على ابنه وقبل خده الناعم الأحمر. ونظر إلى زرقة عينيه ثم حملته نيولا. وقالت:

لينكولن.. هذا والدك.. هذا والدك يا بنى وقد عاد من

الحرب!

وتذكر فريدار إنه لم يشاهدها متأثرة هكذا من قبل.. كانت ترتجف وأحيانا تبدو الهستيريا فى حركتها وفى عينيها. فامتلأ قلبه حنانا وشفقة. فأخذ الولد منها وألقاه فوق الوسادة وجذبها بين ذراعيه، وقال:

نيولا.. لقد تغيرت.

اووه...

ألم يكونوا طيبين معك؟

أجل.

لا.. لم يكونوا، أنا أعرف.

لست أهتم.. أنت معى الآن.. فريدار لن تتركنى أبدا بعد الآن، أبدا.

لن أتركك إذا كان هذا بإمكانى.

بعد ساعتين. كان فى المدينة.. أرباح والده الضخمة من الحنطة مستثمرة فى الكاراج، ودخل إلى المكتب ونظر حوله: إطارات وعجلات داخلية ترقد منتشرة فى المكان،

مـفاتيح الشد، وزجاجات فارغة.. وعلب قديمة، أوراق وأشياء غريبة كلها تملأ المكان.. فابتسم، وهو يفكر بأبيه وعمه كرجلي أعمال.. ربما كميكانيكيان يقومان بعمل رائع، ولكن لا يفهمان شيئا عن أمور التجارة..

وذهب إلى غرفة التصليح.. وكان جو تحت إحدى السيارات، وقد غطاه الشحم والوقود. وايك تحت سيارة أخرى من نوع (فورد) فريدار لجو...

مرحبا يا من تحت..

وتوقف جو عن عمله وصاح:

أهذا أنت؟

وتقدم فريدار لينظر إلى أيك.

ماذا تحاول بحق الشيطان.؟ أتحاول تخريب هذه (الفورد)؟

لعنها الله.. الفورد هى كومة من تنك فيها ثقوب (للبوجى) وكرنك... فريد.. ناولنى ذلك المفتاح.

وأعطاه المفتاح.. فقال ايك بإصرار:

سأحرك هذا المسمار او سأشطر هذا الفورد ابن الملعونة إلى نصفين..

وحدق فريدار تحت السيارة وضحك، فلخمس سنوات خلت كان يعرف ايك كحداد... وقال جو؛

فـريدار إذا لم يكن لديك شئ تفـعله فـاجلس فى المكتب.. فقد يحضر أحدهم يريد شراء الوقود.

وهل تترك المكتب مفتوحا هكذا؟

أكيد، فالمكتب ليس سوى للجلوس.

ألا يسرق لك أحدا شيئا؟

فليسـرقـوا أولاد الحـرام. فليس هناك مـا يجـعل من يسرق ثريا.

بعد قليل دخل جو وايك المكتب وهما ملوثان بالشحم من شعرهما إلى أسفل حذائيهما. ووصلت سيارة، ونظر سائقها إلى المكتب فقال فريدار:

إنه يريد شيئا.

إلى الجحيم.. فلينزل.. إنه ليس أفضل منى.

ولكنكما بهذه الطريقة تخسران الزبائن.

لدينا الكثير من العمل.

ولكن يمكن عمل شئ حول الوقود والزيت.

إلى الجحيم.. إنهم حتى يريدون منك نفخ إطاراتهم اللعينة.

وأشعل ايك سيجارة:

إلى الجحيم فى التجارة، فنحن ميكانيكيان.

ألا تدرك أنك ستخسر تجارتك.

وقال جو: وكل تصرفاته تقول إنه يائس لا يعرف ماذا يفعل:

أعتقد هذا.

إنك بحاجة إلى مدير.. وأنا أبحث عن وظيفة.

وقال ايك:

مدير؟ لست أرى سببا.

فرد فريدار:

لاعادة بناء تجارتكما.. سأقول لك ماذا: دعنى أدير العمل وسأضمن لكم مضاعفة الأرباح.. وإذا لم أفعل.. لا تدينان لى بشئ وإذا نجحت. تدفعان لى مئة دولار شهريا.

ونظر الأب والعم، جو وايك، إلى بعضهما ثم قال ايك:

سندرس الأمر.

وهكذا أصبح فريدار مديرا للكاراج، وأصبح من

واجباته توقيع عقود شراء الوقود والزيت، شراء قطع الغيار، والعناية بالأمور المكتبية.. وكان بنفسه ينفخ إطارات الزبائن، ويملأ (الردياتورات) بالماء، ويمسح الغبار عن الزجاج.. ويدرس طرق عمل منافسيه، ويعرف لماذا نجح ولماذا فشل. وهو من يهدئ غضب زبون عندما يحس أن أجرة التصليح غالية. وأعاد دهن المحطة، وأضاف مضخة وقود أخرى، ويافطة كبيرة فوق الباب.. وبعد أسبوع من كل هذا قال أن عليهم تقديم الخدمة لسيارات التاكسي.. وأقنع ايك وجو أن يصلحا سيارة محطمة. ثم حث العائلة للإنتقال إلى السكن فى المدينة حتى تكون زوجته أو شقيقته قريبتان من المكتب.. ووظف كل خبراته وتكتيكاته، وفى خلال شهرين تضاعف إنتاج المؤسسة مرتين. ولكن فريدار لم يكن سعيداً بعمله.

لقد سئم رائحة الزيت والوقود.. كان قد وصل إلى هنا وهو يزن٧٩ كيلو غرام، وبعد ثلاثة أشهر فى الكاراج أصبح وزنه ٦٥ كيلو غرام.. لقد سئم أيضا الكذب والنفاق فى طرق الآخرين فى المنافسة. واضطر إلى الاعتماد على بيع الزيت الرخيص النوع فى أوعية لماركات مسجلة، أو الإدعاء أن السيارة تحتاج إلى تصليح عندما

تكون سليمة. وغضب أكثر عندما حمل مارتيل حقيبته وسافر ليعمل وكيل بيع متجول.

أضف إلى ذلك، فترة ما بعد الحرب، والمزاج الذى كان سائدا فيها، والتغيير، والفراغ المقلق. كانت الأمة قد امتلأت بالمرتدين، والجنود الذين تخلوا عن مبادئهم، والذين عادوا إلى البلاد ليجدو أإن وظائفهم قد ضاعت. تجار المسكرات الممنوعة كانوا ناشطين فى تجارتهم السرية. والنساء كن يرفعن التنانير إلى فوق ويضعن الأحمر على وجوههن، وينفشن شعورهن. وكان هنرى فورد يقود حملته الشعواء ضد اليهود... والوطنيون يحضّرون النعوش للحريات. والأفكار والمثل القديمة التى قادت كل الأمم إلى الدماء والحرب أصبحت الآن صورة سلبية فى عقول الناس.. وبرز إلى مسرح الحياة، جيل جديد.. ساخر، يائس، مجنون باللذات...

وهكذابدأت رحلة فريدار فى الحياة من جديد تهبط... وفى خلال الثمانية أشهر التى تلت مر فى أحلك وأصعب مرحلة مدمرة فى حياته. وأصبح تاجر مسكرات ممنوعة، وتحرك فى دنيا الخفاء التى يعمل فيها اللصوص،

والقوّادين، والعاهرات، فهو، مثله مثل الآخرين كان رمزا لأيدلوجية قديمة، خانت نفسها وأخذت تموت، ثم أصبح رمزا جديدا لأيدلوجية جديدة ليحارب عبر السخرية لتطل إلى النور.. وكان يعود كل ليلة متأخرا إلى نيولا. ولكنه لم يعد يسئ معاملتها أو يعذبها كما كان فى الماضى. وهو نفسه قد وجه كل تفكيره إلى دراسة عالم الخفاء ليعرف ما هى أحلامهم وماذا يفعلون وما إذا كانت مبادئهم ستخونهم فى المستقبل. ووجد طريقهم سهلة، فاندفع فيها.. وأخذ يعمل كسائق تاكسى ليخفى عمله الحقيقى..

وبعد أسبوع من الإعتراض.. انضم العم ايك ليصبح شريكا معه فى تجارة المسكرات المنوعة.. ولكن العم كان يشرب أكثر مما يبيع.. وكبر عطش فريدار للمسكر، وحاول مقاومة هذا العطش ولكنه لم يصمد.

كانت النساء، والفتيات، وتجار الحنطة والذين اغتنوا فى الحرب، والشبان الصغار فى المدينة هم أكثر زبائنهم لشراء المسكر المنوع. كان يظن أن المتشردين والمدمنين هم من يضيع نفسه فى السكر. ولكنه اكتشف أن الطيبين والمحترمين فى مكاتبهم وبيوتهم... هم من يسعون أكثر وراء جحيم الضياع.. ونظر إلى عمق عينى أمه مرة وسألها:

أمى.. لماذا لم تقولى لى الحقيقة وأنا طفل؟ أين هم الناس الطيبون الذين كنت تخبرينى عنهم؟ أين هن النساء العفيفات؟

وهل نسيت ما علمتك إياه.؟ لقد علمتك كل ما هو جيد.

وهل نسيت..؟ أمى.. هذا ما أحاول أن أنساه.

وكسائق تاكسى، تعرف فى الليل على بنات الهوى.. وبعد ستة أشهر كان يعرف كل شئ عنهن.. تحدث معهن.. درس طرقهن، وصمم على معرفة وجهة نظرهن فى الحياة. واكتشف بالطبع، أن معظمهن فارغات.. حمقاوات.. وغبيات.. ولكن كان فيهن.. شئ أعجبه، فهن لم يكن يتظاهرن، كبقية الناس، بأنهن أكثر مما هن عليه. الحب لهن، كما هو له ولمعظم الناس، ليس مجرد خطب ورد جبان عتيق الطراز، ثم وكأنه ارتكاب المعصية عندما تنطفئ الأنوار. لم يكن يستلقين بأجسادهن فى الظلام وكأنهن اللصوص، يتسللن فى العتمة.. لا! كل شئ كن يفعلنه صريح وواضح كضوء الشمس.

وأخذ يعدل من رأيه فى الطبيعة البشرية من أسبوع لأسبوع. يراقب كيف أن نفس الطبائع هى عند الرجال،

وكلما تعلم المزيد كلما ضاع أكثر، وأصبح لغز الحياة أكثر ظلاما.. ودرس أمور المتشردين والمنبوذين من المجتمع، ورأى أنهم حيوانات.. وهذه المدينة هى كغيرها من المدن، وهؤلاء الناس فيها، المحترمون والمشردون، هم كالناس فى اى مكان آخر، ضائعون فى خضم نضال جشع لأجل الحياة. لم يكن هناك فخامة أو مثل عليا، ولاعفة لا تنبع من جبن، ولا كرامة ليست عجرفة أو شر. وبين المجموعتين، المحترمين الذين يقفون فى ضوء الشمس وبين الذين يسيرون فى الظلام، لم يستطع رؤية فارق كبير، فقد شاهد بنات الهوى يتصدقن على الفقراء والمتسولين.. وشاهد محامين يقسمون الأيمان الكاذبة.. وشاهد رجل كنيسة يسرق.. وشاهد تجار مسكرات ممنوعة يساعدون امرأة عجوز لتقطع الشارع.. فى الكتب، البشر ليسوا كما وجدهم الآن. فى الكتب الحق حق والباطل باطل، والبطل رجل رائع بأفكاره الشريفة.. والنذل شرير كريه متوحش نهايته دائما سيئة..

وأحس بالغثيان من حياته هنا، ولكن لا شئ يمكن أن يخرجه منها ليعيده إلى المراعى حيث الحياة نظيفة، فهذا يحتاج إلى قوة أبعد بكثير من إرادته.. ولكن فى ليلة من

ليالى آب، وفى اليوم الرهيب الذى تلاها.. واتته هذه القوة..

جاءه صديقه بيل رومون عند منتصف الليل.. كان يريد الذهاب إلى مدينة (بوكتيلو).. وعندما تقدم فريدار من سيارته وجد أن صديقه بيل، مادح ايبرت، قد سبقته إلى السيارة، فسألها:

هل أنت قادمة معنا؟

بالطبع...

واندفع فريدار بسيارته فوق الطريق العامة فى رحلة منتصف الليل هذه، وكانت أكثر رحلاته حماقة فى هذه السيارة، كان بالكاد يرى الطريق أمامه، وأنوار الطريق باهتة وخافتة، ولكنه مصباح الغاز الكهربائى نحو الطريق، وأخذت السيارة تهدر كالمجنونة تحت قيادته. وبعد قليل شاهد أنوار بلده (بلاك فوت) وكأنها عود ثقاب فى وسط الضباب.. ثم، وفى لحظة رعب، رأى أن الطريق العام تلتف فى زاوية كاملة نحو اليسار، ولم يكن أمامه الوقت الكافى ليقف.. وسرعته كانت كبيرة جدا لأن يدير المقود، فاندفعت السيارة إلى الأمام بخط مستقيم، وبقوة هائلة، وتصاعدت أصوات الحجارة الطائرة والرمال المتناثرة.

وخرج هو ورومون، بجهد من السيارة، التى كانت قد غرزت فى كومة كبيرة من الرمال والحصى ودفنت نفسها إلى علو الإطارات.. وبعد أن حفرا لساعتين ليخرجا من الرمال.. أضاع فريدار الطريق العام وسار فى طريق ريفية موحلة، ثم توقف عند فسحة عالية، وخرج كى يرى إلى أين وصل.. وما أن خطا إلى الأمام خطوة فى الظلام حتى وقع فى حفرة وحل حتى ركبتيه.. وتصارع مع الوحل.. ومضت ساعة قبل أن يستطيع الخروج من الحفرة.. وعندما خرج تقدم من رومون غاضبا ليسأله لماذا لم يساعده.. وجد أنه ومادج قد تركا السيارة وذهبا

وصعد إلى سيارته، واستدار بها ليجد طريقه إلى الطريق العام ويعود إلى بيته.. حياته كلها منذ سنوات كانت إنفعالا لا معنى له من الرعب والضياع.. أما الآن فقد أصبحت كابوسا لا معنى له من المسكرات وبنات الهوى والقوادين واللصوص.

ووصل إلى منزله. وفتح الباب ليقف هناك بكل إنفعالاته وألمه وعذابه. فسمع الطفل يعول بجنون فصاح غاضبا:

ما خطبه بحق الجحيم؟

وتقدم منه ليمسك به ويصيح:

ما خطبك! اخرس! توقف عن الصراخ!أيها الطاغية اللعين!

وأخذ يهزه بعنف

الا تعلمين ما خطبه؟ أصمت أيها الأبله!

ولكن صراخ الطفل تصاعد أكثر.. وأصبح فى نظره مجرد كتلة لحم حمراء.. وصراخ.. وفم مفتوح، وهزة ثانية بقسوة:

إخرس اللعنة عليك! إخرس أو سأقطع رأسك! الأفضل أن لا يكون لى ولد أحمق مثلك! من أين حصل على كل هذه العصبية؟

من أين؟ أتساءل؟

وأمسك برأس الطفل، وأخذ يهزه بعنف وغضب، وأخذ رأس الصبى يتمايل فى كل الاتجاهات، وفجأة صمت.. وبدأت تظهر على وجهه، الذى كان احمرا منذ لحظات شحوبة الموت وأغمض عينيه وكأنه الدمية.. وارتخى جسده.. فصاح فريدار:

يا إلهى!

فصرخت نيولا وتقدمت منه مذعورة

فريدار! ماذا فعلت

جلس فريدار على السرير والطفل مرخى الجسد بين ذراعيه.. وأخذ يتمتم بذهول!

لقد قتلته.. لقد توقف.

وأصبح وجهه ببياض وجه الطفل.. لقد أصبح العالم له هادئا الآن استطاع الإحساس بصمت كبير ورهيب فى كل مكان ووضع أذنه على صدر الصبى.. ولم يسمع شيئا، فقال مكررا.

لقد قتلته.. لقد قتلت ابننا... اذهبى واستدعى البوليس.. ولكن انتظرى! أين مسدس ميرت؟

اوه.. فريدار!

اسرعى أحضريه.

فريدار.. استدعى طبيبا أرجوك.

طبيب؟ اتظنى إنه لم يمت؟

ربما لا.. ولأجل الله اسرع!

وأمسك فريدار بغطاء لفه حول الطفل وخرج من

وأمسك فريدار بغطاء لفه حول الطفل وخرج من الغرفة.. وركض فى الشارع كالمجنون ونيولا تركض وراءه.. ثم صعد سلما ودخل غرفة وصاح:

بسرعة.. انظر ما إذا كنت قتلت ابنى!

ونظر الطبيب بذهول إليه ثم أخذ الولد منه. ووصلت نيولا وهى تصرخ والتفت فريدار إليها وقال:

أرجوك اصمتى!

وألقى الطبيب الجسد المرتخى فوق أريكة وانحنى فوقه وشاهد فريدار يد الطبيب تتفحص الجسد، وقال نيولا:

نيولا أرجوك..

لا أستطيع لا أستطيع!

وقال الطبيب:

إنه لم يمت

لم يمت...

وانهارت نيولا ورمت نفسها إلى الأرض وانحنى فريدار فوقها:

نيولا أرجوك!

آه.. آه..

نيولا!

آه.. آه..

لم يسمع فريدار من قبل العذاب فى صوت آدمى..

وسأل الطبيب:

هل تأذى؟

لقد هززته..

وتقدم من نيولا ورفعها وهى مغمية ليجلس بها على الأريكة.. وضمها بين ذراعيه وقبلها. كان دائما يواجه المخاطر والصعاب بهدوء.

وقال الطبيب:

كان على وشك الموت، لقد انزاحت فقرة من فقرات رقبته.. ولكنه بخير الآن.. أبقياه هادئا لفترة قصيرة.

بعد ساعة عادا إلى البيت واستقلت نيولا مع الطفل على السرير وجلس فريدار قربهما يحدق فى الجدار.. لم يكن يرى شيئا أو يحس بشئ ما عدا ظلام طفولته الرهيبة. البحيرة العميقة قرب منزله، النهر المجنون،

والسماء الكئيبة.. والطفل.. والشاب المتأمل دائما فى تلال انتيلوب...

وركع أمام السرير ولف ذراعه حول نيولا والطفل معا، وقبلهما وعندما بكت نيولا.. بكى بدوره. ومدت له يدها فوضع فمه عليه وبكى بكل ما مر فى حياته من مرارة.. وخرج إلى الكاراج ونزل إلى المستودع، ثم أخرج وعاء الخمر الذى كان يتاجر به ويشربه. ورماه أرضا ليحطمه.. ثم عاد إلى غرفته، ليركع ثانية قرب السرير ويضع فمه على راحة نيولا. وبقى هكذا لفترة طويلة غارقا فى يأس أبعد بكثير من الحزن...

ورفع رأسه ليقول:

حسنا.. أستطيع الآن أن أرى أننى كنت مغفلا، طوال حياتى.. كنت بائع خمور ممنوعة وسكير... ولكننى تعلمت الكثير خلال هذه الأشهر، ولست نادما... وأرجوك يا نيولا.. أنا لم أفعل شيئا لم أقوله لك.. لم أعاشر أية امرأة.. حتى أننى لم أقبل واحدة.. الكثير لن يصدق هذا ولكنها الحقيقة فهل تصدقينى؟

أجل.. أصدقك.

ســوف أتحـول إلى رجل طيب.. زوج وأب مـثـالى.. مـواطن صـالح.. وسـيشـع الصـلاح منى كالشـمعات فوق قالب حلوى عيد ميلاد... فهل سيسعدك هذا؟

- لا..

لا.. وهل تريدينى أن أبقى وغدا وسكيرا؟

بالطبع لا.!

حسنا.. سأصبح طيبا، سأشرب الصودا والحليب وأبدو نظيفا وصافيا

حسنا.. لديك ما يكفيك من مال لهذه السنة.. ما ستفعله بعد هذا الله وحده يعلم. ربما ستكون صالحا، ولكن أعلم يا عزيزى أن هذا يعنى الفقر لنا. وما أريده هو أن تعود إلى المدرسة، وأن تحب الكتب.

ولكننى أحب الكتب.

أنت لا تحبها ولكنك ستفعل.. والآن سنستقر كل فى عمله.. أنا سأغسل الثياب، وأنظف الأرض.. وما أريده منك أن تقرأ وأن تعى ما تقرأه.

- انظرى نيولا.. إذا كنت لا تريدين الأستمرار معى..

فبإمكانك الحصول على طلاق. والآن هو وقت اتخاذ قرارك. ولأقول لك الحق، أنا سأبقى دائما غبيا. ولن أصبح أبا عطوفا. وأنت تعلمين هذا. وهناك شئ آخر، العالم كله فى فوضى.. القنابل تتفجر فى سياستنا. المدن ثائرة.. والعالم كله يستعد لغرق كبير. نيولا.. أنا ثائر.. وسأبقى ثائرا. والآن هو الوقت الصحيح لتقررى.. فما رأيك؟

أنت سخيف.. بالطبع سابقى معك.

حبيبتى هل أنت واثقة؟ ولن تندمى أبدا.. مهما حدث؟

لن أندم مهما حدث.

تعالى إلى هنا أيتها البلهاء.. هل تحبينى حقا؟

فجلست على ركبتيه وابتسمت ثم قطبت وقالت:

لا.. أنا أكرهك.

هذا ما أريده.. أكرهينى بكل قواك.. نيولا لماذا تحبينى؟

لأنك مجنون.

وهكذا، وبعد ثمانية أشهر من الضياع، وجد فريدار طريقة واستدار نحو الشمس. وكرس حياته لأمبراطورية

العلم والإبداع. لوحده مع زوجته وإبنه سيعيش بسلام فى منزله، بهدوء وراء أسوار الجامعة، وسيجد هناك معنى الحياة. وآمن أن ماضيه الرهيب قد انتهى.. وليس أمامه سوى خمس سنوات من الدراسة.. وبدرجة دكتور ستأتيه العظمة فى النهاية.. خمس سنوات من الاستكشاف والنمو.. خمس سنوات من الهدوء. وكطفل بدأ الحصاد، ولينحنى فوق الكتب يحتضنها.. وليكتب مستقبله...

ولم يكن يعرف ما هى تلك النار المجنونة التى لازالت تسرى فى دمه.

نار القلق

عـاشـا فى مـدينة (سـولت ليك) مـرة أخـرى فى غـرفـة مظلمة كبيرة.. فى نـهاية الأسبوع كان فريدار يسـاعد فى غسل الثـيـاب، وحـتى فى غـسل الحـفـاضـات.. وتنظيف الأرض. وكان يتجول فى المدينة يشترى الطعام ثم يركب الحافلة ويداه مملوءتان.. وصباح الأحد، إذا كان الطقس جميلا، يحمل الطفل ويسير مع نيولا فى الحديقة العامة. وأحب فريدار هذه المدينة الواسعة الشوارع، القابعة إلى جـانب جبل وتحـيط بهـا القـمم... عندمـا كـان يقف إلى نافذته.. يستطيع أن يرى المدينة تمتد أمامه وكأنها الغابة الصفراء،من تحتها الوادى الذهبى.. ومن فوقها الجبال الزرقاء.

وكان يمضى معظم وقته فى الكتابة ومع الكتب.. قرأ فى شـهر واحـد كل كتب تاريخ الأدب الأنجليزى لجامعة

كـامـبـردج.. والملاحظات التى سـجلهـا من هذه الكتب لوحـدهـا.. كـانت حـمل ذراعين. ثم تحـول إلى الفلسـفـة والمقارنة بين الأديان، والعديد من الميادين الأخرى. وبينما يتفحص صفحات الكتب عند الأمسيات أصبح غير شاعر بنفسـه، والعالم الوحيد له كان عالم العقل والتفكير. وعندما تبدر له فكرة يتوقف ليحدق بنيولا وتأخذ الفكرة بالتبلور فى دماغه.

وكان البروفسور ويل دوناو متحمس له.. فقد قال أن فريدار تلميذ واعد أكثر من أى تلميذ مر عليه.. وأن كتاباته خلاقة. وكانت حماسة دوناو له تنمو أسبوعا بعد أسبوع. وفى يوم من الأيام أخذ يتجول من مكتب إلى مكتب وهو يلوح برواية كتبها فريدار ويصيح:

لو أن كاتبا معروفا كتب هذه لكان الناس يصيحون باسمه فى كل العالم!

واستدعى فريدا ليقول له:

روايتك يمكن تحسينها.. إنها ضعيفة، فليس فيها إثارة درامتكية ولا تضع فى ذهنك أبدا أن عملك لا يمكن أن يتحسن.. هل قرأت للكاتب (بينيرو)؟

أجل.

أيعجبك؟ إنه كاتب درامى كبير.

إنه لا يعجبنى.

انتبه.. إنك تبالغ فى الثقة بنفسك.. الروح الخلاقة متواضعة وطفولية.. انظر، يجب أن تعيد كتابة هذه...

ولطالما تعجب فريدار من هذا الرجل.. التلاميذ يحبونه، وينظرون إليه كرجل عظيم... وكذلك فريدار، ولكنه لم يكن متعاميا عن غروره الكبير، وكان فى الصف يدرسه. ويلاحظ ديناميته وحيويته، وحماسته المؤثرة فى شرح الموضوع الذى يدرسه، وطريقته المغرورة والواثقة، وتوقه المرضى للإنجازات ومنافسة أترابه، وادعاءه لأكثر مما يعرف.

فى يوم من أيام شباط... استدعى دوناو فريدار إلى مكتبه.

إجلس.. سوف تتخرج فى حزيران.. أليس كذلك.

أرجو هذا.

ثم ماذا؟

لست أدرى.

فضحك دوناو وقال:

ما رأيك أن تعلم فى الجامعة؟

يعجبنى هذا بالطبع.. ولكن..

ما رأيك أن تعلم فى قسمى.

فى قسمك! هنا؟

هنتر أنا سأعرض عليك مركزا هنا.

صحيح؟

ولكن على شـرط واحـد: أن تذهب إلى المدرسـة فى القرب لهذا الصيف.. هل تذهب؟

اه.. سأحاول.

هذا يعنى أنك سـتـذهب.. اذهب إلى جـامـعـة (مـيـدرسـتـرن) كـان يجب أن تذهب إلى (هارفرد) إنـها المدرسة الوحيده من حقلنا.

وطار فريدار إلى منزله.. وقال لنيولا:

حسنا.. انظرى إلى.. لقد عرضت على وظيفة ضخمة.

صحيح؟ اوه يا حبيبى!

البروفسور دوناو عرض على وظيفة.

فى قسمه؟

فى وسط قسمه..

اوه يا حبيب قلبى!

انت حبيبة قلبى.. أشعر بالعظمة.. حسنا، تعالى واجلسى على ركبتى مولاك.

وتقدمت منه لتجلس على ركبتيه وتضع يديها على وجهه وتقبله...

قبلينى عندما أحصل على الوظيفة.. يا امرأة!

فريدار!

ولكن على الذهاب إلى شيكاغو.

لا.. قل لى الحقيقة.

هذه هى الحقيقة.. على أن أذهب إلى جامعة (ميدوسترن) هذا الصيف وأتعلم بعض الأشياء لأعود وأعلمها هنا.

وأنا.. ماذا سأفعل؟

عودى إلى بلدنا وعيشى مع أهلى.

ولكننى لا أريد.

أعلم.. ولكن هذا أمر عظيم لنا. أتعلمين أننى الوحيد من بين تلامذته عرض على وظيفة؟ أقول لك يجب أن أفخر بهذا.

ولكننى لا أريد العيش مع أهلك.

إسمعى نيولا.. يجب أن نفعل ما علينا أن نفعل.. نحن لا نملك المال الكافى لتذهبى معى.. لماذا لا تذهبين إلى أهلك؟

لا أريد فأنا أكره الريف فى انتيلوب.

إذا.. ماذا نستطيع أن نفعل.

ربما أستطيع إيجاد عمل هنا.

أتعنى أن تبقى لوحدك هنا؟ لا.. لن يحدث هذا.. ستذهبين عند أهلى أو أهلك.

قلت لك لن أذهب عند أهلى!

إذا ليس أمامك سوى العيش مع أهلى.

لا شئ فى الدنيا يملأ قلب فريدار بالوحشة مثل السفر بالقطار وهو يجلس قرب النافذة الآن. أخذ يفكر،

كعادته فى معنى وجوده فى الحياة. وعادت به المخيلة إلى الوراء وأخذت الصور تجئ وتذهب. الماضي والحاضر كانا يترائيان له دون حاجز الزمن. وجاءه وجه دوناو وهو يقول له (اريدك أن تسجل أرقاما قياسية هناك..

قسمنا صغير وأنت الأول من متخرجينا يذهب إلى (ميدويسترن). فدعنا نفخر بك..) وأخذت الدواليب من تحته تتحدث عن المسافة. وأخذ الليل يتقدم فى عالم غريب من الأشجار والغيوم.

وتملكه هذا الشعور ساعة، وهو يأكل سندويتشاً، أو يستلقى على المقعد لينام، أو عندما ينظر إلى الأميال المترامية أمامه فى نبراسكا، وايومنغ، ايوا.. ورأى القرى تبرز وتختفى، والمدن تبدو وكأنها الخيال عن بعد والمزارع تنتشر وكأنها البساط الكبير من منطقة إلى أخرى.

ووصل إلى ميتشجان، وتنشق رائحة بحيرتها وأنفاس ملايين السكان فيها.. أحس بالخوف من هذه المدينة الضخمة.. وسار القطار فى وسطها، وكأنما يريد أن يقسمها قسمين.. ودخل الدخان من نوافذ القطار ولم يعد فريدار يرى شيئا. وعندما توقفت الدواليب وانتهت

الرحلة.. أمسك بحقيبته، واندفع ضمن طوف من البشر إلى المحطة ثم الشارع.

بعد ساعة، كان يركب الحافلة وحقيبته بين قدميه، لم ينظر إلى المدينة المخيفة، فالنظرة إلى الخارج لا تريه سوى بنايات بشعة وطرقا مظلمة.. وبعد ركوب وقت طويل، استطاع أن يشم رائحة الأشجار والعشب وإلى يمينه شاهد حديقة عامة جميلة.. وعندما ترك السيارة. رأى أن الحديقة لا تزال هناك بالقرب منه فوقف يفكر.. ثم حمل حقيبته ودخلها.. وسار فى طرقاتها مفتشا عن طريق توصله إلى نهاية مقفلة.. ووجد طريقا يزداد نمو العشب والشجيرات عليه وسار فيه إلى أن وصل إلى أيكة من الأشجار وشجيرات ملتفة تحتها، وراء الأوراق الداكنة شاهد الماء والقمر يسطع فوقها. ولفترة وقف يستمع، ويتساءل ما إذا كان هناك أمان هنا. ثم ركع ومد يده إلى الأرض وملأهما بالتراب، ثم نام على بطنه يستنشق ذلك التراب والعشب والأوراق الميتة.. وفى بضع دقائق.. كان يغط فى نوم عميق...

واستيقظ وكل أحاسيسه مليئة بأغنيات العصافير، فنظر من حوله بفضول، ظانا لأول وهلة أنه فى أرض

طفولته. أحلامه كانت مليئة بالأنهر والريح... لقد كان خائفا من هذه المدينة وهذه الأرض.. ولكن بعد ساعة كان فى غرفة صغيرة فى شارع (وودلاون) وأحس أنه أقل خوفا. صحبة الملك امرأة طيبة، ونافذة غرفته تطل على شارع يشبه الشوارع التى يعرفها. وسيكون هنا هادئا مع كتبه، وهذا ما يكفيه.

وذهب إلى حرم الجامعة، وأذهله ما رأى، فجامعة (واساتش) بكل مبانيها ومروجها وأشجارها ليست سوى فندق أكاديمى صغير بالمقارنة مع هذه. وسار لمدة ساعة ليعرف كم هو كبر هذه الجامعة، وبدت له أنها تغطى مسافة المدينة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب وكل مبانيها دون استثناء مبنية من حجر (الغرانيت).

ودخل المكتبة. ومقطوع الأنفاس أخذ يتجول من طابق إلى طابق. محاولا معرفة حجم هذه الكمية من الكتب الشاملة فى الثقافة. قاعة المطالعة لوحدها بدت له بضخامة ووسع أحد المراعى.. ولم يعد يتحمل المزيد، فطار إلى غرفته ليسطر رسالة إلى نيولا صب فيها كل شوقه، وكل ذهوله بما شاهد.

وتسجل فى ثلاثة دورات: اللغة الأنجلوسكسكونية، وأستاذه فيها أستاذ زائر من احدى مدارس الجنوب لم يكن يفهم فريدار كلمة مما يقول.. وأستاذه فى اسلوب التأليف كان هو هارولد وينهام.. والثالث فى الكهنوت وأستاذه ويلس هولى.

وأدرك فريدار أن أساتذته هنا بعلمهم الكبير وإنسانيتهم يقفون بين أساتذته الأوائل مثل ألسنة النار بين الحطب. فعلمهم كان كبيرا وعظيما وأخذ يقرأ الكتب بكثرة يحملها إلى غرفته ويطبع على الآلة الكاتبة ملخصات لها وأكوام من الملاحظات. وجمع مئات من الأسطر وطبعها.. وهكذا عاش فى حماس محموم لسبعة أسابيع. كان يأكل وينام بين الكتب...

ولكن، عند نهاية الأسبوع السابع أنهى عالم الكتب من حوله، وعاد إلى ماضيه؟؟ فقد وصلته رسالة من شقيقته: (أخى العزيز.. أكتب إليك لأبلغك شيئا يتعلق بزوجتك نيولا لقد وجدت عملا كساقية فى مقهى. وفى كل ليلة يوصلها رجل ويقفان فى الممر يتكلمان. أحيانا تأتى مع رجال فى سياراتهم، ومرة شاهدتها تتجول مع شاب فى سيارته، إضافة إلى أنها تضع أحمر الشفاه، وتدهن

وجهها، وتضع أشياء غريبة على رموشها إلى أن تبدو وكأنها العاهرة. لا أحب أن أكتب لك هذا.. ولكن يجب أن تعرف.. شقيقتك المحبة.. ديانا).

وصدمت الرسالة فريدار، وبقى دون حراك لفترة طويلة.. لا شئ أبدا حول الحياة أو الموت كان ليضايقه أكثر من هذا.وكتب لها رسالة:

(عزيزتى نيولا.. لقد عرفت أنك تعملين فى حانة (هانك) وأنا أعرف هذه الحانة من الداخل والخارج.. إنها مكان لقاء العاهرات والقوادين. وسوف تتركينها فورا. ولن أسمح لزوجتى فى العمل فى ماخور للبغايا. لست أدرى لماذا فعلت هذا، ولكن هناك أشياء كثيرة فعلتيها ولا أفهمها. وإذا كنت ترغبين فى البقاء زوجة لى يجب أن تتركى العمل وبسرعة.. فريدار).

وانتظر الرد، ولم يعد يستطيع الأكل أو النوم.. ونسى كتبه ودراسته.. ومرت خمسة أيام.. ستة.. أسبوع ولم يصل أى رد.. ثم مضى يومين بعدها يحاول جهده محاربة هذا الواقع المظلم... وإنكار وجوده.. كان يجلس فى غرفته وقد وضع وجهه بين يديه.. يائس يتمنى الموت..

ولكن فكرة واحدة كانت تجعله يتعلق بالحياة: التفكير بأهله الذين يتعبون ليوفروا له القدرة على متابعة الدراسة.

وفى الصباح التالى دقت صاحبة المنزل باب غرفته وسلمته رسالتين.. إحداهما من نيولا، والأخرى من شقيقته ديانا.. وفتح رسالة زوجته.. وكانت مليئة بالشكوى من أهله وكلامهم عليها وأقسمت له أن كل ما يشاع غير صحيح.. صحيح أنها أحيانا تلتقى ببعض المعارف له ولها يوصلونها إلى المنزل.. ولكن هذا كل شئ!.. وختمت رسالتها قائلة (إذا كنت تصدق السوء عنى فلن أعيش لأراك ثانية.. لقد خططت لك لدخول المدرسة وخططت لمستقبلنا معا، وللأحلام التى كنت أحلمها وما زال ... ولكننى الآن أشعر أن الدنيا كلها قد تألبت علي.. وكم أتمنى لو أننى بين ذراعيك لتقول لى أن ما فعلته هو الأفضل.. بأنك تصدقنى.. وتحبنى!...).

وأعاد فريدار قراءة الرسالة مرات عديدة.. ولاحظ أن كتابتها مضطربة وأن الحبر فى بعض المواضع ملطخ بالدموع.. وبكل ما فى قلبه من حب لها.. صدقها.. وأخذ يضم الرسالة إلى فمه ويقبلها.. ولكن رسالة أخته كانت تقول:

(أخى العـزيز.. نيـولا لا تزال تعـمل فى المقـهى.. والجميع يتكلمون عنها.. ويجب أن تعرف هذا.. ديانا).

ولم يعد باستطاعته تصديق شئ.. لو أن نيولا تحبه.. والناس يتكلمون عنها هكذا... فلماذا لم تترك العمل فى المقهى؟ كيف يمكن أن تكتب مـثل هذه الرسالة المشبوبة بالعاطفة.. ومع ذلك تستمر فى المجئ كل يوم مع رجال ليسوا أفضل من القوادين؟ الله يعلم أن هذا كابوس لا معنى له!

وخطرت له فكرة.. فاستدعى صاحبة المنزل السيدة بورجيز وقال:

أريد منك خدمة.. أريدك أن تكتبى رسالة بخط يدك.. الأمر كالتالى: أنا وزوجتى نحب المزاح... ولقد مررت على مزحة، وجاء دورى لرد.. فهل تساعدينى؟

طبعا.. أقرأ لى الرسالة..

(عزيزتى السيدة هنتر..

أنا لا أحب التدخل فى حياة الآخرين.. ولكننى أظن أن من واجبى أن علمك بما يفعله زوجك هنا.. من باب الصداقة..

الحقيقة أن زوجك يحب امرأة هنا، وعلمت انه ينوى

الهرب معها.. وأظن أنك يجب أن تعرفى هذا.. فأنا لا أحب رؤية امرأة مخدوعة.. لقد قال لى إنك تثقين به.. ولكن ما كتبته هو الحقيقة.. لك بأخلاص..

السيدة مينيت بورجيز)

والتفتت إليه السيدة.

ولكنك لن تفعل هذا.. أليس كذلك؟

يا إلهى بالطبع لا..

فضحكت. وهل ستصدق؟

هذا ما أريد معرفته.

ومرت أيام.. لم يصله أى جواب.. وأحس بالضياع.. فهذه المدينة المخيفة ليس فيها من يسدى إليه النصح.

فى صباح أحد الأيام التى تلت.. دخل مبنى الكلية.. وذهب دون وعى إلى مكتب أستاذته الآنسة هيرولد.. وفتح الباب دون أن يقرعه.

اوه.. أنا آسف... ولكننى بحاجة إلى مساعدة.

وغرق فى كرسى.. وكانت الآنسة هيرولد هادئة.. فسألته عن مشكلته فقال:

لا أستطيع أن أفهم شيئا.. طوال حياتى قاومت الجنون لوحدى.. ولقد سئمت المقاومة!..

ووقف عن الكرسى ليقول وكأنه المذهول:

الأفضل أن أخرج.. آسف لأزعاجك.

ولكنه تهاوى من جديد على الكرسى.. فتقدمت منه ووضعت يدها على كتفه.. وقالت بصوت رقيق عميق:

فريدار.. أرجوك أخبرنى كل شئ.. وسأفهمك.

اووه.. أنا أحمق.. جبان ضعيف أحمق!

لا.. بل أنت إنسان واقع فى مشكلة.. فدعنى أساعدك.

بل أنا أحمق!.. هذا ما فعلته طفولتى التعيسة بى!

لا تأخذ الأمور بهذه القسوة أنت شاب وأمامك الحياة كلها.

وبدت له مشكلته الآن سخيفة مثيرة للأشفاق.. فما به أبعد بكثير من مشكلته مع نيولا.. إنه ماضيه المظلم كله... يقف أمامه ليعمى بصره... وأخبرها قصته.. وأخرج كل شئ من صدره.. وكره تلك التفاصيل... وأخيرا قالت له:

يجب أن تعود فورا إلى بيتك.. وسأرتب لك الأمور هنا.. يجب أن لا تستسلم لليأس.. فأنت شاب واعد.. ولا يجب أن نفكر هكذا...

ولكننى أريد أن أكون منصفا مع زوجتى.. هل أتركها؟ هل أحاول أن لا اهتم بما تفعل؟ هل طلبى منها أن تتصرف بكرامة وشرف طلب غير معقول؟ لم أعد أدرى.. ولا أعلم ما أفعل؟

كن صبورا، فربما تتصرف دون تفكير بالعواقب.

ولكننا لن نستطيع الأستمرار هكذا... أنا على استعداد لأعطائها حريتها.. أو أى شئ.. ما عدا أن تجعلنى سخرية.

وقالت الآنسة هيرولد:

إنها شابة وصغيرة.. كلاكما شاب.. ومشكلتكما ستحل نفسها فى وقت لا يذكر.

ومدت يدها وناولته كتابا وقالت:

خذ هذا، واقرأه.. حاول أن تفهمه. سيساعدك. وعدنى يا فريدار أن لا تتسرع فى فعل أى شئ..

وفتح الكتاب ليجد أنه كتاب (ما وراء الحياة) للكاتب (كبل) أعدك..

وبعد ساعتين كان يقطع البرارى متجها نحو بيته.

إنها لاتعرف الصدق

وسـار به القطار يومين وليلتين عـبـر الغـرب لم ينم خلالهما أبدا. حاول قراءة الكتاب ولكنه أزعجه.. وصباح اليـوم الثـالث، وعند دخـوله إلى(ايداهو) أصـيب بالقلق، فـأخـذ يتـجـول من مـقطورة إلى أخـرى. وعندمـا توقف القطار فى محطة (اداهو فولز).. أسرع إلى طريق جانبية قـريبـة من مكان سكن نيـولا.. ووقف هـناك، ينظر إلى البناء.. وخرجت نيولا إلى الشارع.. وحدق بهـا فريدار، صورتها تلك لن ينساها مدى الحياة. كانت ترتدى ثيابا ملونة، ووجهها وفمـها مليئـان بالدهان الأحمر الفاقع.. والماسكارا على رمـوشـهـا التى تغطى عـينيـهـا تقريبـا. ورأته.. فجمدت مكانها وقد التقت نظراتهما.. وسألها:

– أين كنت ذاهبة؟

ورأى الأزدراء فى عينيها، والكبرياء الفجائية فى رفع رأسها:

إلى العمل بالطبع..

هل لا زلت تعملين فى ذلك المقهى؟

بالطبع.

وصمت فريدار وأخذ يتفحصها.. وقابلت نيولا نظراته الساخرة بترفع ملوكى.. وقال لها:

نيولا.. اذهبى إلى هناك وقولى لهم إنك ستتركين عملك.

لن أفعل.

بل ستفعلين.

وإذا لم أفعل؟

سأهجرك. سأطلقك.. الخيار لك.

فصاحت بغضب:

لست أرى سببا لتركى العمل! لماذا أترك عملى؟ لأنك تأمرنى بهذا؟

افعلى ما شئت.. لن انتظر طويلا.

وأخذ حقيبته، وصعد السلم إلى غرفة نيولا.. وجلس على السرير وأخذ يراقب الساعة. وبعد دقائق، دخلت

نيولا والكراهية تلمع فى عينيها.. فقال لها:

اجلسى..

فـهزت كـتـفـيـهـا وجلست. ونظرت إليـه وعلى فـمـهـا ابتسامة ساخرة، وقالت:

حسنا؟

نيولا.. أعتقد أننى طلبت منك ترك عملك.

اوه.. صحيح؟ ومن أنت حتى تطلب منى أى شئ؟

وفهم ما تقصده.. فقال:

إذا لقد صدقت تلك الرسالة؟

أنا.. أية رسالة؟

رسالة السيد بورجنز.

التغيير فيها كان سريعا.. وغادر الأزدراء عينيها فقال:

إذا لقد صدقتيها.

حسنا، ولماذا لا أصدقها؟

ولماذا صدقتيها.. ؟ نيولا أتذكرين ما قلته منذ سنتين؟ لقد قلت أننى سأكون مخلصا معك.. وهكذا كنت.. طوال

حياتى معك لم أكذب عليك ولا حاولت خداعك.. وقلت إنك ستثقين بى.. ولكنك لم تفعلى..

بل أثق بك.

لا.. أنت لا تثقين بى.. لقد أرسلت تلك الرسالة لأعرف مدى ثقتك بى.. أنت لا تثقين بى مطلقا ولا أعتقد أن بإمكانك انتظار أن أكون واثقا بك.. ولكننى لا أستطيع العيش هكذا... ولم يبق لى الآن سوى أن أتركك.

لا!

صرختها أذهلته.. وتقدمت منه وهى ترتجف، وركعت عند قدميه.. فقال لها:

أرجوك أرجعى حيث كنت واجلسى.

فريدار!

نيولا هيا عودى للجلوس، فهذا ليس وقت الهيستريا.

وعادت إلى كرسيها.. ولاحظ أن يديها ترتجف فى حجرها. أراد أن يأخذها بين ذراعيه، ولم يعد فى قلبه أى لوم أو غضب: لم يبق شئ سوى حبه البائس لها.

نيولا.. لماذا ليس لك ثقة بى؟ ماذا فعلت لأدمر هذه

الثقة؟ وبأية طريقة لم أكن مستقيما معك؟

ولكننى أثق بك.

لماذا أذا صدقت تلك الرسالة السخيفة؟

لست أدرى!

هل أعطيتك أبدا أى فرصة للشك بى؟

لا!

إذا.. لماذا؟

قلت لك لا أعرف.

لو إنك لم تصـدقى تلك الرسـالة لكنت آمنت أنك لن تخدعينى أبدا.. وبما أنك صدقتها، فقد عرفت أنك كنت تتوقعين منى أن أفعل ما تفعلينه أنت.

لم أصدقها.

لا تكذبى.. لقد صدقتيها... نيولا.. لماذا؟

مارتيل صدقها أيضا.

اوه.. وهل صدقها.. أظن أنه كان كالأخ الكبير لك؟

ووقف على قدميه وتذكر مرات كان مارتيل يقبلها فيها

ويضع ذراعه حول خصرها.. وفى كلتا الحالتين لم ير فيها أى إشارة أخوية.. فى الواقع.. فى كل مكان من هذا العالم، كان يرى النزوات الشهوانية متنكرة فى زى الصداقة والإدعاء. وكره من جانبه هذه الأدعاءات.

نيولا.. اذهبى واغسلى هذه التفاهة عن وجهك.

وعادت نيولا بعد قليل والقليل من الحمرة على خديها ودون شئ على شفتيها ونظرت إليه وكأنها تقول: لقد حصلت على ما تريد.. فهل أعجبك هذا؟

وقال لها فريدار:

قبل أن اسمع اعترافاتك.. سأقول لك اعترافى أولا.. أول كل شئ أظن أننا كبرنا على المغازلات.. لقد سافرت إلى شيكاغو وعشت مع كتبى.. النساء لم يُثِرْنَ إهتمامى إطلاقاً. والآن هل لى أن أسمع قصتك.

أية قصة؟

قصة هذا الصيف.. لقد كنت تعملين فى ماخور. وكنت تخرجين مع الشبان..

أنا لم أفعل.!

لا؟ إذا لنسمع ما كنت تفعلينه.

ليس لدى شئ لأقوله.

ونفذ صبر فريدار فوقف ليواجهها.

نيــولا ألا تتــعــبــين أبدا من المراوغــة؟ أتعنى أنك لم تخرجى مع رجال فى هذا الصيف؟

لست أدرى ماذا تعنى.

وشاهد فى عينيها الخوف القديم منه.

إذا كنت لا تريدى أن تقــولى. فــلا تقــولى.. ولكننى أستطيع العيش معك فى الخداع. ولست هذه فكرتى عن الزواج

اوه.. قل لى ماذا تعنى.

هل كنت تأتين إلى البيت مع رجال؟

لقد قلت لك عن هذا فى رسالتى.

هل ركبت مع رجال فى سيارتهم؟

لا.. فقط لايصالى إلى البيت.

أتعنى فقط من المقهى إلى هنا؟

أجل.

مجرد مسافة قصيرة.. وليس حول المدينة؟

حسناً.. مرة أو مرتين.

ولماذا كنت تركبين السيارات مع الرجال؟

اوه.. مجرد مشوار.

من هم الرجال؟

رجال.. كانوا يأكلون فى المقهى.

ولماذا ركبت السيارة معهم؟

لست أدرى.. أعتقد لأنهم طلبوا منى هذا.

أتعنى أنك تخرجى مع الرجال إذا طلبوا منك؟

لا..

ماذا تعنى إذا بحق الجحيم؟ ولماذا طلبوا منك؟

مجرد صداقة.. كما أعتقد.

لا.. لقد حاولوا اغوائك، هل كنت تعلمين هذا؟

لا..

هل قبلك أحد منهم؟

لا.

هل طلب أحد أن ينام معك؟

لا... لا!

إذا.. لقد حصل.

لا.. لم يحصل.

لا تكذبى نيولا.. الحياة كلها لا تساوى كذبة واحدة. وأنا لن أجلس هكذا لأكون حمارا أمامك.. لقد كذبت فى الماضى وسامحتك.. وهناك حدود للصبر.. والآن لآخر مرة أسألك! هل طلب منك أحدهم أن تنامى معه؟

وتحركت فجأة وكأنها تحاول الهروب فأمسك بكتفيها وصاح:

ردى!

أجل.. لا.. واحد فقط.

وهل فعلت؟

لا!

كلمتها خرجت فجائية وغاضبة.

هل كنت راغبة؟

لا... وهل عدت مع ذلك الرجل بعد ذلك إلى البيت؟

أجل.

لابد أنه أعجبك.

لا..

إذا لماذا بقيت تدورين حوله؟

لم أفعل.. هو من كان يدور حولي.

لابد أنك أحسست بالسعادة، فأى شاب خليع له لحية يثير رغبتك. ففى عالمك تبدو النساء عاهرات والرجال كلاب. ولقد أعجبك هذا. فأنت (حواء) الخالدة والرجال يحملون الإثارة.. وما أن أغيب عن بصرك حتى تسعين إلى تلطيخ شفتيك ودهن وجهك.. ولكننى لن استمر فى الحياة هكذا.. ولن أستطيع الثقة بك، وأعنى الثقة بشرفك.. بإمكانك الحصول على حريتك.. ومن حقك أن تعيشى كما يحلو لك.. ولكن ليس معى.. وإذا رغبت فى العيش معى يجب أن تكونى امرأة بإمكانى أن أفخر بها وأثق بها.. نيولا.. ماذا هناك لتخبرينى بعد؟

لا شئ..

هل تقسمين على هذا؟ تذكري! يمكنني تحمل اعترافك.. ولكنني لن أتحمل كذبك. وإذا أمسكت عليك كذبة واحدة بعد الآن.. فسأفجر الجحيم من حولك... وقد أقتلك.

أتمنى لو تقتلني.

نيولا.. أنت امرأة متزوجة ولست عاهرة.. هل هذا صعب..

إذا استمريت هكذا فسوف تجعلني عاهرة.

ماذا.؟ تذكري أنك أم وزوجة وأنك عندما تعبثين مع الرجال تجعليني مغفلا.. وعندما اعترض تقولين إنني سأجعل منك عاهرة. يا إلهي.. يجب أن تحترقي بعارك على هذا القول!.. ماذا تريدين بالضبط؟

أن أعيش معك.

ولكن لماذا لا يكون لديك الأمانة والشرف لزوجة وأم؟ لقد سئمت هذا الكلام.. فهو لم يوصلنا أبدا إلى أي نتيجة. ولكن افهمي هذا.. إذا كنت تريدين العيش معي فيجب أن تعيشي بطريقة لا تخجلني وإلا سآخذ الطفل منك وأسافر. وأعني هذا.. وليساعدني الله.

واستدار عنها وغادر الغرفة.

وسارا في الشوارع المظلمة يفكر.. ثم عاد بعد زمن ليجدها لا تزال جالسة حيث هي.. فقال لها:

هيا بنا نخرج للتنزه.

وسار جنبا إلى جنب دون كلمة.. إلى أن وصلا إلى النهر وجلسا ضمن خميلة أشجار وارفة.. وأخذ يحدق بها ثم قال:

نيولا.. حبيبتي لماذا لا تفكرين بما تفعلينه؟

لست أدرى.

هل تحبينى الآن أقل من الماضى؟

بل أكثر.

وهل تثقين بى؟

أجل.

إسمعى.. لو حدث وجاء وقت أريد فيه أن أذهب مع امرأة أخرى لقلت لك... لدى أخطائى والله يعلم.. ولكننى لست خبيثا.. لست أفهمك! من كتب لى آخر رسالة شخص يختلف تماما عن الذى رأيته اليوم. فكيف

تفسرين لى هذا؟

لا أستطيع التفسير.. لقد فكرت بهذا أيضا. ربما ما تفعله بى هو السبب.

ما أفعله؟ لا أريد أن أفعل سوى أن أحبك وأثق بك. وأنت تبدين أحيانا أنك تكرهينى وتريدين تركى... فهل تخافين منى حبيبتى؟

لا.. لست خائفة منك.

أنا مستعد للموت من أجلك أتعلمين هذا.

ولكننى دائما سأحبك...

وضمها إليه وقبلها فى شفتيها ثم شعرها.

تبدين شاحبة الآن وكنت عند الصباح موردة.

بسبب الزينة.

أعلم.. سأضع لك بعض الأحمر على وجهك بنفسى.

ومد يده إلى حقيبة يدها.. وفتحها.. فشاهد رسالة، وأخرجها لينظر إليها، فتحركت نيولا بسرعة لتخطفها من يده. فدفعها فريدار عنه ووقف، واحمرت نيولا بحمرة الذنب.

هل لى أن أقرأها؟

لا.. أرجوك فريدار أعطنى إياها!

وأخرج الرسالة من المغلف وقرأ:

(عزيزتى نيولا.. ها أنذا قد عدت.. وأظن إننى سأراك قريبا. فأنا سأبقى هنا حتى شهر تشرين الأول.. ولكننى سأراك فى مدينة (سولت ليك) ألا زلت تنوين الذهاب إلى هناك؟

محبك الدائم (بوب).)

وأعاد فريدار قراءة الرسالة، ثم ركع على ركبتيه ونظر فى عينى نيولا المرعبتين:

من هو بوب؟

فريدار أرجوك!

بوب من؟

بوب واتكنز.

وارتجفت يداها وشفتاها.وهى تنطق باسمه، وحدق بها ثم قال:

إذا لقد كذبت على ثانية..

فريدار أرجوك!

وهل قلت له أنك ستقابلينه فى سولت ليك؟ وهل تقسمين على الكذب؟

لم أفعل..

بل فعلت.. محبك الدائم.. إذا أنت وبوب حبيبان؟

فريدار أرجوك!

ألا يمكنك قول سوى فريدار أرجوك؟ ألي هناك نهاية لحياة الاستغفال هذه.؟ ألا يمكن أن تكونى صادقة وشريفة معى...؟ أيتها العاهرة!

ردة فعلتها أذهلته، وأفلتت منه بقوة ووقفت تواجهه وكأنها النمرة، بكل غضبها وجنونها وعنفوانها، ثم، انتصبت بقامتها وكأنها لسان اللهب وصاحت به:

أنت! تدعونى هكذا.. أنت! آه..

واستدارت بكل ما فيها من ثورة، وتركته متجهة نحو الجسر فوق النهر.. وعندما وصل الغرفة حاول فتح الباب فوجده مقفلا:

نيولا.. نيولا.. افتحى أو سأكسر الباب.

وركل الباب بقدمه فأسرعت نيولا لفتحه وهى تنظر إليه نظرة غريبة، فنظر من حوله فى الغرفة.. وعلى الطاولة شاهد زجاجة وورقة. والتقط الزجاجة ليجد أنها تحتوى على (حامض الكاربونيك) (الفينول) ونظر إلى الرسالة:

(عزيزى فيدار.. لقد سئمت كل هذا وأنا ذاهبة. فمهما فعلت ومهما حاولت جاهدة ستجد بى الأخطاء. أنت أهنتنى ودعوتنى بالأسماء الفاسقة ولن أتحمل هذا.. أرجوك كن رؤوفاً بابننا، ولا تخبره عن شئ..)

استدار إليها.

هل تعنى أنك كنت..؟

أجل.

يا إلهى نيولا! حبيبة قلبى!

وتقدم منها ليركع أمامها ويحنى رأسه على حجرها.

وبعد أسبوع كتب فى مذكراته ما يلى:

(كم كنت غبيا! لقد كنت أسير وهم بأننى ونيولا نستطيع أن نكون صادقين لبعضنا، ولكن هذا، ويا للأسف، كان حلما. ولكنها لا تعرف، وليس لديها القدرة

لتعرف، ماذا يعنى الصدق.. وأستطيع القول أنها ليست بحاجة لأن تعرف. وها نحن زواجنا فاشل، محطم، وما يخبئه المستقبل لنا الله وحده يعرفه.. وعلى الرغم من هذا أنا لا زلت عبدها.. مرتبط إليها بحبال تمتد من داخل قلبى.. وإذا مت فليكتب على قبرى:

هنا يرقد فريدار هنتر

الذى بنى لنفسه هذا القبر

على أساس رغبة مخالفة للمنطق

بأن يبقى صادقا...

ولست أدرى ما هى الحقيقة فيما بينها وبين بوب.. ولن أسألها ثانية.. ولن أعرف أبدا ولن أثق بكلامها بعد اليوم..).

وهم الحب

وعاد معهما الطفل إلى مدينه (سولت ليك) .. ورمى نفسه قلبا وروحا فى عمله.. فالحب أصبح له مهزلة منافية للعقل، وقد انتهى منه إلى الأبد. سوف يعيش مع نيولا وسيكون طيبا معها لأنه سئم العنف والعداء. إضافة إلى أن تهديدها بالأنتحار كان يخيفه. لقد علق فى فخ، كما بدا له، ولا يمكن أن يفعل أى شئ للخلاص منه. وليس أمامه سوى العمل... وسوف يعلم ويكتب.. فهذه أشياء نبيلة.. مهنتان شريفتان ومن خلالهما يستطيع بناء صومعة له: لوحده بين الكتب التى يحبها.. ومع أفضل ما قيل من أفكار.. وسوف يكرس نفسه للحقيقة والأمانة والمثل العليا.. أما الحب فهو حلم الشاب الصغير، حماقة الشباب، ومن بعده يأتى الطموح والمنجزات، والحكمة والهدوء.

فى أسبوعه الثانى استدعاه رئيس الجامعة إلى مكتبه.

وكان بيتر ماتويك، رئيس جامعة (واساتش) رجل متزن جدى له بطن مستدير.. وعيناه مخنوقتان.. وقبل سنتان ضرب أحد تلامذة الصف النهائى ورماه أرضا. وصاح بالتلامذه الذين اجتمعوا من حوله فى الحرم: (أنا أدير هذه الجامعة! وعندما أقول السخرية ببعضكم ممنوعة فيعنى هذا أنها ممنوعة!)

ودخل فرايدار مكتبه.. وتجاهله الرئيس لفترة وهو يقف هناك. ثم قال له بلهجة حادة معادية:

هل ترغب فى رؤيتى؟

انت طلبت منى المجئ.

اوه.. أجل.. تذكرت.. أنت فريدار هنتر. مدرس اللغة الأنجليزية الجديد... صحيح؟

أجل.

أجلس.

وسحب فريدار كرسيا وجلس، وحدق به مانويك لفترة طويلة وذقنه مخبأ تحت لحيته.

أردت أن أرك للحظة.. أردت أن أخبرك بأن لا تعجب بنفسك كثيرا لأنك تدرس فى الجامعة.. أنت لا زلت صغيرا فلا تدع الغرور يدخل رأسك.

وذهل فريدار لكلامه حتى إنه لم يستطع الرد، وتابع ماتويل:

إنه لشرف كبير لك أن تدرس هنا.. فجامعتنا جامعة قديمة ولدينا رجال عظام. وأنت لا زلت ولدا...

ورن جرس الهاتف واستدار ماتويك ليرد وبعد أن انتهى استدار ثانية إلى فريدار، وقال:

– حسنا هذا ما أردت أن أقوله لك. أبق متواضع القلب... يمكنك الآن أن تذهب.

عندما دخل فريدار غرفة الصف، ودفاتره فى يده، أحس بالخوف والسقام وجلس إلى طاولته لينظر فى ثلاثين وجها. بعضهم بسيط ومحتشم، والبعض الآخر غبى بكل صدق، ولكن معظمهم مع ذلك شكاك وساخر. والوجوه الساخرة هى التى ملأته رعبا. وهو يقرأ لهم الدرس كان يقرأ ردة الفعل بوضوح كما يقرأ فى ال الكتاب... وتثائبة من هنا، واستدارة رأس قلق.. شخرة سخرية.. كافية لأن تشتت أفكاره.. وقد يفقد التتابع

والمعنى لما كان يقوله. وغالبا ما كان يتصبب عرقا ثم يشحب لونه، ويقاوم مشاعره كى يسيطر على أعصابه. ومن كل هذا أحس بأنه فاشل.

ولكن (دوناو) رئيس القسم، وأستاذه القديم، قال إنه ليس بفاشل:

أنت تقوم بعملك على أحسن ما يرام يا هنتر، وتلاميذتك يحبونك، وأنا فخور بك.. وعندما تحصل على الدكتوراة أريدك أن تبقى هنا.

ومع ذلك فقد بقى شكه بنفسه عميق كحياته.

ليلة بعد ليلة كان يجلس إلى ما بعد منتصف الليل يقرأ، مضيفا إلى عمله، إلى أطروحته قول العظماء. حتى أحس، كما قال لنيولا، إنه سيتقيأ الكتب: (القراءة الزائدة هى كالأكل الزائد.. بعد قليل سأحتاج إلى طبيب نفسى.. أحتاج إلى من أتحدث معه).

وأخذ يفتش عن صديق يستطيع أن يتكلم معه.. وكان أمامه أثنان بديا له أنهما يشاركنه درجة العناء ودرجة الحقد والحب، أحدهما كان جون آغنيو. وكان وسيما والفتيات فى صفه معجبات به. كن يعتقدن أنه عاطفى

وخطير، وكن يأتين إلى مكتبه، الذى يشاركه مع فريدار وأستاذ آخر، ويجلس معه ويضحكن وكان يحدثهن عن الحب.. وكن ينظرن إليه نظرات كان فريدار يفهمها جيدا.

بعد ظهر أحد الأيام بقى فريدار فى المكتب ليتحدث مع أغنيو واكتشف أن هناك موضوعا واحدا يجذب اهتمام هذا الرجل.. فالجنس كان القطب الشمالى لكيانه وعواطفه هى البوصلة وهى دائما مركزة دون تغيير نحو الشمال. لم يشاهد فريدار من قبل شخصا مثله فى إظهار شهوته.. وتحدث معه لعدة أيام وهو ينوى دراسة فكره وقلبه.. وأغنيو، بكل هدوء وسحر أخذ يكشف له عن خبايا نفسه.

وعاد فريدار إلى بيته، وهو يعيد فى ذهنه ما قاله آغنيو: هل صحيح أن الحب بالنسبة له درع يضعه تحت ثياب نومه كشئ معيب وسخف؟ هل أنا شخص مريض فى القلب بسبب وجودى؟

وأخذ يفكر كثيرا بما قاله (أغنيو) له.. بعض ما قاله فارغ وسخيف ولكن تحت معظمه تكمن كمية كبيرة من الحقيقة. وسأله فريدار:

لماذا لم نتعرف على بعضنا هكذا قبل الآن؟

لست أدرى.. مع أنك بدوت لى الأنسان الأكثر إنسانية هنا.

وهكذا استمرا مع بعضهما.. وأحب فريدار هذا الزميل بفكره المتحرر وحماسته وقلبه المتهور. وأحب مرحه البسيط وسخريته وشجاعته. ولعدة سنوات سيبقى أقرب صديق لفريدار.

وحملت نيولا من جديد. وقال لها فريدار:

بهذه السرعة. سيكون لدى أولاد يملأون المكان..

يمكن أن أجرى عملية اجهاض.

لا.. كل ما على أن أفعله هو أن أستقر فى وظيفة لأرعى قطيعى.. ولكن لا تبدأى بإنجاب التوائم..

وترك نيولا من جديد مع أهله وغادر سولت ليك إلى شيكاغو ثانية، وقال لنيولا:

ما أن أجد مكانا للسكن فسأرسل فى طلبك!

فريدار لا تتركنى منتظرة.

لن أفعل..

لكل ليلة من ليالى الأسبوع الذى تلا وصوله إلى

شيكاغو.. كان يجلس إلى كتبه ليدرس.. يميل إلى نسيان شوقه لنيولا.. ويفكر بها، هل هى الآن صادقة معه. ولكن ماذا يهم؟ ربما كل امرأة تخدع زوجها بطريقة ما.. وكل رجل يخون زوجته، وربما يكون الزواج نوع من البغاء المهذب.

وهكذا.. وعلى أحد مقاعد الحديقة العامة.. اتخذ قرارا آخر: سوف يكون كبقية الرجال المتزوجين. وسيكون زانيا خبيثا. وبعد أن يقضى ساعة مع عشيقته سيكذب وينكر وينام مع زوجته كما يفعل من يعرفهم من الرجال، وسيحضر لزوجته علبة حلوى أو باقة ورد.. وهذا كله لأن آخر حلم له بوجود الأخلاص بين رجل وزوجته قد مات فى نفسه.. وهذا كان آخر حلم عظيم لديه.

بعد أسبوع من هذا القرار التقى بصديقته القديمة فى شيكاغو بلانش اولسون، فقالت:

مرحبا. ألست سعيدا لرؤيتى ظننت أنك معجب بى.

ربما..

أحيانا تكون فى منتهى الغباء.. أتعلم ما هى حياة معلمة المدرسة فى بلدة صغيرة؟

أستطيع تخيل هذا.

أليس لديك أية شفقة.. ألا تعلم لماذا أتيت إلى شيكاغو؟

لتأخذ دروسا فى التعليم..

لا.. أنت حقا أحمق.. لقد أتيت أبحث عمن أحبه.

وهل كنت محظوظة..

فوقفت وتنفست بحدة.

ألا تجدنى جذابة.. لدى سيقان جميلة.. والرجال يحبون السيقان..

ورفعت تنورتها إلى أعلى.

ما رأيك.

لا بأس.

هل يجعلك هذا تريد رؤية المزيد.

والشخصية الغريبة التى أصبحها فريدار الآن برزت فيما فعله.. ولو أن بلانش كانت متعطشة له فمما لا شك فيه أنه هو من حفزها لهذا. فأمسك بيدها وجذبها إليه بقسوة.. فقالت:

فريدار اتركنى!

اسمعى.. أنت من تطلبين هذا.

أجل.. ولكن لا حاجة لأن تكسر ذراعى.

ستكونى محظوظة إذا لم أكسر رقبتك.

لماذا أنت متوحش هكذا؟

متوحش؟ هل ترغبين فى رجل أم فى قط منزلى؟

فالتصقت به بلانش وابتسمت: (بل أريد رجلا).

وسار فى الحديقة يبحثان عن مكان ظليل مهجور... وسعيا إلى اللجوء تحت مجموعة شجيرات شائكة. ونظرا من حولهما وكأنهما المجرمين.. وسألها:

كيف يمكن للرجل أن يزنى فى شيكاغو؟

أظن أننى أعرف مكانا.

وأمسكت ذراعه وأخذته إلى مقعد خشبى بعيد وجلست.

ما بك؟

هذا هو المكان.. ولكننى لا أظن أننى راغبة فى الحب الآن. فأنا.. خائفة.

هذا كلام هراء.

ووقف ينظر إليها ويتفحص مشاعره.. كان يحس بالإثارة ولكن ليس بالإثارة العاطفية.. ولم يعد لديه الرغبة فى عناق هذه الفتاة. وتساءل دهاه؟

هيا..

لا.. أرجوك انتظر قليلا.

وجلس إلى المقعد ووضع يده خلف ظهرها وجذبها إليه وقبلها، ولكنه لم يُحس أى حرارة فى هذه القبلة. ولكنه تابع المحاولة مصمما على أن يثير نفسه مهما كان الأمر. وقبَّل فمها ثم رقبتها، وجذبها إليه أكثر و...

فريدار لا تفعل هذا أرجوك!

كان يلعب دورا يعرف ما هو.. ويقوم به بعنف عاطفى مقصود. ولكن مشاعره كانت ميتة وكأنها الخشب.. ومع ذلك فقد تظاهر بالأثارة وقبلها بطريقة فهمت بأنها متوحشة، وحاولت التخلص منه.. ولكن فريدار ثابر على ما يفعل.. تاركا غريزته تقوده.. ولكن أفكاره كانت قاسية وعارية مثل الأشجار فى الخريف. وأمسك بها ليجرها إلى مكان ظليل تحت أشجار قصيرة. وزحف على يديه وركبتيه ليدخل ولحقت به، ففرش لها معطفه لتستلقى

فوقه.. وأحس فريدار بارتجاف جسدها.. وأراد أن ينفجر بالضحك.. وضمها إليه، وكان الضحك فى نفسه كأنه الطوفان يحاول الوثوب.. فهو لم يكن يشعر بأى إثارة بل كان مليئا بخوف كان يقف وراء رغبته بالضحك.. وسعى إلى تقبيلها.. وكافح بكل قواه أن يقفز من هذا الشلل العاطفى إلى حالة الأنفعال.. أن يكون نذلاً ويأخذ ما يعرض عليه.. وتابع تقبيلها محاولا إخفاء عذابه.. وشيئا فشيئا أخذ يضيع التركيز على أفكاره وقليلا قليلا أخذ يدفع ذاكرته إلى زوايا النسيان...

ورتبت بلانش شعرها.. ونظرت إليه وبدت مذهولة تماما وسعيدة. وقالت له:

لا أحد.. أعنى.. أبدا لم يسعدنى أحد..

وحدق بها، لم يفهم ما تقصده.. وعندما فهم انفجر ضاحكا:

ماذا يضحك؟

انفجر أكثر دون أن يستطيع السيطرة على نفسه، بدت له ملاحظتها مضحكة.. وتركها وأخذ يركض فى الحديقة ضاحكا ونادته ولكنه لم يعد. وعندما وصل غرفته أحس بألم فى قلبه واستلقى على الأرض ولم يعد يضحك،

ثم أمسك بصورة نيولا ليضعها فوق خده ويجهش بالبكاء.

بعد ساعات.. أخذ يتساءل ما إذا كان قد حلم كل هذا. هل كان فعلا فى الحديقة العامة أم أنه كان يجلس هنا طوال الوقت يحلم..؟

وخرج ليرسل إلى نيولا رسالة مختصرة:

(يصلك شيك بثمانين دولار. أحضرى فورا. فريدار).

ولثلاثة أيام تلت أخذ يتجول وكأنه فى غشوة.. كان يحاضر فى الجامعة دون أن يفهم أى شئ يقوله.. وفى اليوم الرابع التقى ببلانش. فقالت له:

هل نذهب فى نزهة؟

ولماذا؟

أريد إخبارك بشئ ما.

وذهبا إلى الحديقة العامة، وكانت تبدو قلقة، فقال لها:

حسنا؟ ماذا هناك؟

أنا فى ورطة.

ورطة..؟ ماذا تعنى؟

أنا حامل.

هراء.. لم يكن لديك الوقت الكافى لتتأكدى.

لقد تقيأت هذا الصباح.

تقيأتى! تقيأتى؟

فريدار.. أنت تحب زوجتك؟

بالطبع أحب زوجتى.

ولكنك تحبنى أيضا.

طبعا فأنا أحب كل النساء.

فيدار كن جادا.

ولكننى جاد، وهذه أكبر غلطة لى، فأنا جاد حتى أننى أحيانا أبدو سخيفا.

إذا كنت لا تحب زوجتك فلماذا لا تطلقها؟

ولكننى أحبـهـا!.. إسـمـعى يا بلانش.. أول خطوة تفعلنها أنتن النساء أن تجرون الرجل لأن ينام معكن.. ثم تجبرونه على الزواج. وثالث خطوة أن تنجبن الأطفال: ورابع خطوة أن تختـرن أصـهـرتكن وزوجات ابنائكن،

والخامسة أن تجلسن فى كراسيكن وكأنكن الطاغيات.
والسادسة هى الخطوة الشريفة الوحيدة التى تقمن بها..
عندما تمتن.. لنذهب إلى غرفتى..

لا.. لا أرغب فى هذا الآن. أريدك أنت..

تعالى إلى غرفتى إذا.

لا.. أريدك طوال الوقت..

تعالى الليلة إذا.

لا!

حسنا.. لا تأتى.. ولكننى سأنتظرك.

وأتت عند منتصف الليل.. وبعد ساعة كان يدفعها دفعا لتخرج.

إسرعى واخرجى من هنا؟ وإلا قطعت رقبتك!

فريدار هل تخاف من النساء.

إسمعى يا بلانش يمكن أن أصبح خطيرا.

أعلم.. ولهذا أريدك.. لو أنك فقط تعرف عن الحب كبقية الرجال.

هل ستذهبين أم أرميك خارجا؟

سار معها حتى الباب.. ثم وقف يراقبها وهى تبتعد فى الشارع المعتم ودخل الحمام ليحلق ذقنه ويدخل إلى المغطس يرتاح فى مياهه الساخنة.. ثم ارتدى بذلته الوحيدة وسار شمالا إلى داخل المدينة.. وسار خمسا وسبعين منعطفا ثم استدار نحو الغرب وقطع جسرا ليدخل المحطة.. وبعد ساعة سمع هدير القطار المنخفض من بعيد، وبعد بضع دقائق دخل القطار هادرا إلى المحطة، وبعد دقائق أخرى كان يقف فى غرفة ضخمة مقنطرة.. ونيولا بين ذراعيه.

بحثاً وراء الحقيقة

في هذه الفترة من حياته، وكما لم يفعل أبدا من قبل، وهب حياته للبحث في الكتب. امتدت من آب تلك السنة إلى آب بعد سنتين... وخلال هذه الفترة قرأ تقريبا في كل الحقول... وكمية ما استعاره وأعاده من وإلى رفوف مكتبة الجامعة كان يعد بالمئات.. وسجل ملاحظات حتى كان لديه حمل شاحنة من الأوراق المطبوعة على الآلة الكاتبة: في الفلسفة، في الأديان، في التاريخ، في علم الأجتماع، في العلوم الطبيعية.. واستمر في كتابه مذكراته، يسجلها يوما بيوم.. إضافة إلى ذلك.. كان مستمرا في دورات كاملة في الدراسة للتخرج. ولأجل الحصول على شقة صغيرة مظلمة من غرفتين.. قبل أن يصبح وكيلا لبناية ضخمة كالحة: يشعل نارها، ينظف ردهاتها وسلمها، يحمل الأوساخ منها والقمامة، يؤجر

الغرف، ويجمع الإيجار. ودرس الفرنسية والألمانية أيضا.. وكان يمضى أيام الآحاد فى كتابة قصة. وكل يوم.. يذهب إلى قاعة الرياضة فى الكلية.. يعمل بجنون فى مختلف الرياضات، حتى آخر ذرة من قواه. وفى نهاية السنة الأولى، هدده العمى.. وصحته بالرغم من الرياضة، وجزئيا بسببها وسبب التمارين المرهقة التى كان يقوم بها، أصبحت تسير نحو الأسوأ. حتى أنه عاش كل يوم وهو على حافة الأنهيار..

فى مطلع تلك السنة كتب فى مذكراته ما يلى:

(لقد قال أحدهم: مهمة الفليسوف أن يجيب على ثلاثة أسئلة: ماذا أستطيع أن أعرف؟ وماذا يجب أن أعرف؟ وماذا أمل أن أعرف؟ فى قراءتى لكتب الفلسفة اكتشفت أن لا جواب على أى سؤال منها.. وكل ما قرأته عن الأخلاقيات والضمير كان وكأننى أقرأ عن حوت يسعى وراء سمكة، وعندما ينتهى، يعود البحر إلى سابق هدوئه وهذا كل شئ..)

(ثم تعلم التالى: لقد قال (زنيوفانيس) الفليسوف اليونانى القديم القائل بوحدانية الله، اننا لا يمكن أن نعرف الحقيقة. وقال بارمنويز أن طبيعة البشر تحعل من

اكتشاف الحقيقة أمر مستحيل. وقال الفليسوف اليونانى ايبوقراط: أن الحقيقة لا يمكن التأكد منها عبر العقل.. وقال بيرو، المشكك حتى فى الدليل الحسى، إننا يجب أن نوقف التبرير).

(كل هذا يجعلنى فى دوامة.. ولكننى لن أيأس، أو أستسلم.. بل سأبقى أبحث فى الكتب إلى أن أجد المفتاح لهذا الباب المقفل.. ولكن.. الباب يُفضي إلى ماذا؟

أظن أن علماء الغيبيات وما وراء الطبيعة، هم رجال يسعون إلى به من قبل).

ووجد فريدار. أن ليس فى الفلسفة شئ يمكن له إستخدامه.. فاستدار نحو الأديان.. ليكتشف، بقليل من الدهشة، أن العهد القديم والعهد الجديد من التوراة كانت بمعظمها خليط من خرافات قديمة. العهد القديم كان طبعا رواية عاطفية عن اليهود...

بعد فترة من الزمن فى دراسة الأديان هجر فريدار كل الديانات الأرثوذكسية، لأنها جميعا تنبع، كما بدا له، من عقدة الذنب والباطل والخوف. جزء منه. جزء منه، الأيدولوجي والشاعر، كان يسير وحيدا ويبكى.. كان يبكى من الشفقة على آلام البشر وحبا بالبشرية...

والجزء الآخر من شخصيته، كان مفكرا دون شفقة ودون رحمة، وكان يشجب بقوة الجزء الأول ويخرسه بازدراء.

وخلال تلك الأشهر التى درس فيها عن الديانات، توصل وبجدية إلى التفكير بعالم الجريمة. وفكر أن يترك كل شئ فى النظام الإجتماعى النظيف ليدخل عالم الخفاء حيث الدوافع صريحة كالسيف. ولتذهب هذه الحكومة إلى الجحيم.. العدالة؟ أين هى؟ الحرية؟ يقال أن هذه البلاد لم تعد بلاد الحرية..

عندما جاء الربيع إلى شيكاغو. رمى بكل أبهته على حرم الجامعة والحديقة العامة. وفى الصباح الباكر كان فى السماء إشراق دافئ يبعث على التراخى والكسل. ولكن الشوارع بقيت على حالها.. وسار فريدار فوقها وهو يُحس بشوق غامر للجبال والوديان، إلى رائحة السواقى من الأودية الضيقة، ورائحة النار وخشب الصفصاف.. ورائحة الأرض الغنية النظيفة.. وقال محدثا نيولا:

لنذهب إلى موطننا هذا الصيف.. سيكلفنا هذا أقل مما لو بقينا هنا.

إلى انتيلوب؟ أجل... ولكننى لا أريد رؤية تلك المنطقة أبدا!

أعلم.. ولكننى لم أعد أحتمل هذه المدينة.. إنها تدفعنى إلى الجنون نيولا.. فكرى بالنهوض باكرا لتنشق رائحة الندى والعشب النامى ودلائل المطر! أن تجلسى تحت شجرة تشمى رائحة النهر والساقية! أن تنامى على الأرض وتغطين فى النوم!.. فلنذهب يا نيولا.

وذهبا.. وأحس فريدار بالرائحة الشديدة عندما أصبح دخان شيكاغو وراءه فى السماء.. كان موطنه فى ذكراه أرض جميلة ملاذ رائع للوحدة والهدوء. إنه يعتقد بأنه سيجد القوة والهدوء حيث عانى العذاب.. فى أمكنة لم ير فيها سوى الظلام.. ولكن ما أن ظهرت جبال وايومنغ أمامه.. وأمامها الصحراء الرمادية الشاسعة حتى أحس بهزة الخوف القديم وقال لنيولا:

أنا نادم لأننى أتيت! وبقى لمئتى ميل صامتا..

وعندما وصلا، ذهب إلى منزل أهله، وشاهد مارتيل وديانا، وحيا الجميع ولكن دون أن يراهم بوضوح.. فعيناه لم تعودا إلى هنا سوى للنظر فى البرية، فى المروج الخضراء، فى زرقة السماء.. ولكنه أحس بكراهية كل شئ.. ولأسبوع عانى العذاب بصمت، ثم انفجر عاصفاً.. فشتم موطنه، وجعل والدته تبكى، ووالده لاذ

بالصمت، وعبس مارتيل. وصاح:

أريد أن أعمل! أعطونى شيئا انشغل به!

وخرج مع مارتيل إلى المرتفعات ليركز عواميد السياج هناك.. وهناك كاد يقطع قدمه بالفأس، وعندما سحب حد الفأس خرج الدم مندفعا، يغلى من الحرارة واحمر، وشم رائحته فأغمى عليه. وعاد إلى الوعى وأخذ يتقيأ، من الألم والخجل، فمزق مارتيل قميصه وربط الجرح، ثم ذهب ليحضر له جوادا.. وعندما وصلا إلى المنزل تفحص والده ووالدته الجرح.. وقال والده إنه سيشفى بعد وقت قصير. ونظر فريدار إلى جرحه، فوجد أن نصل الفأس قد قطع نصف المسافة سماكة عظم مشط قدمه. وحاول تحريك أصابعه، إلا أن وتر الباهم والأصبع الذى يليه كانا مصابين، وصب له جو الأيودين على الجرح ثم مضغ قطعة تبغ إلى أن أصبحت كالسائل ووضعها فوق الأيودين.

ولم يعد قادرا على العمل الآن... ولم يستطيع كذلك أن يجلس دون حراك.. فتحول إلى قراءة التوراة.. لقد قرأها كاملا ستة مرات على الأقل وهو صغير، وقال لنيولا:

– أعطنى ذلك الكتاب.. لسوف أقرأه ثانية.. وسأحاول أن أجد فيه أى شئ يمكن لأنسان ذكى أن يصدقه.. وبعد

استغراقه لأسبوعين فى القراءة بعناية ودراسة غوامض متاهاته أخذ من وقت لآخر يتناقش مع أمه:

هل تعتقدين حقا أن هذا الكتاب الشيطانى هو كلام الله؟

بالطبع! ومن كان يحب رائحة اللحم الآدمى المحروق. من سمح لليهود أن يقطعوا أصابع أقدام وأيدى الأسرى.. من..

أصمت يا بنى! أمى.. هؤلاء اليهود يؤمنون بتحديد الخصوبة والتوالد، وهذا الكتاب سجل واسع للتوالد والإخصاب.

(أنتم تقولون أن إتّباع الحقيقة يجعل الأنسان حرا.. وهذا الكتاب يقول ثق بالرب، ولا تعتمد أبدا على فهمك الخاص) حسنا يا أمى.. هذا الكتاب هو من عمل أناس ساديين ظالمين يخلقون فى تصورهم ربا ظالما. إنه يسجل أفظع الجرائم الأخلاقية التى يمكن لبشر أن يفكر بها. فالبنت فيه تغوى أباها، والرجل يغوى زوجات الآخرين ويقتل أزواجهن.. ويمتلك الناس فى تلك الحقبة كل الأمراض الجنسية، وهذا مذكور فى الكتاب. وتظنين أن كمثل هذا الكتاب هو كلام الرب.

إنه غير مترجم بشكل صحيح.

هراء.. إنه تاريخ لليهود الجهلة والمؤمنين بالخرافات والذين حاربوا وزنوا وفسقوا وكأنهم زبانية الجحيم. ولم يكن فيهم لا رحمة ولا شفقة ولا حتى مجرد عقل أكبر من عقل بقرة. ربهم فيه سفاح. متآمر، قادر شرير..

لا أريد سماعك.. أصمت.. ليتنى لم أرسلك إلى المدرسة.

وماذا كنت تريدينى أن أكون.. منافق؟ تقريبا كل ما ورد فى العهد القديم (التوراة) مأخوذ من الفولكلور القديم.. وتاريخ اليهود أنفسهم مخروق بالأساطير والخرافات والخيالات حتى أننا لا نستطيع إيجاد ذرة من الحقيقة فيه. وتذكروا أن اليهود حصلوا على كل أساطيرهم من البابلين.. ومن العديد غيرهم، نفس الأساطير مروية فى أساطير الهنود عن بوذا وكريشنا، وعند الفرس زرادشت وعند الصين (فوهى) وعند الفراعنة (ايرمان) .

يا ولدى لا أريدك أن تتكلم هكذا.

ولكن هذه هى الحقيقة.. لقد سرق اليهود كل شئ فى توراتهم. ذكر الجنة أخذوه عن الفرس كذلك رواية الخليقة وشجرة الحياة والمعروفة من البابلين، ولماذا يعتقد اليهود أن المعرفة تقود إلى الموت؟ أعتقد أنهم يخلطون المعرفة بالخطيئة. أو قصة شمشون وداوود وغولياث، أو سليمان

والطفل الذى تربى فى مـهد فرعـون أو دانيـيل الذى رمى بين الأسـود.. وهـذا قـصـة خـرافـيـة مـعـروفـة حتى قـبل أن يسمع أحـد باليهود. لقد سئمت الخرافات.. وأريد الآن وإلى الأبد أن أعرف الحقيقة.

وكتب فى مذكراته: (اؤمن بأن أعظم شئ فى الحيـاة هو الواجب.. وأن على أن أقرر مسار حياتى وأجد فلسفة أستطيع أن أعيش بموجبها..

أنا آسف لمجيئ إلى مـوطنى.. لقـد كـان هذا الصـيف مخيبا لأملى. فرب اليهود لم يكن كما أتصوره.. والطريق أمامى يبدو مظلما...) .

وهكذا عاد فريدار مع عائلته إلى شيكاغو.. ومرة ثانية دفع أجرة غرفتين صـغيرتين مظلمتين، لن يكون الحـارس على بناية قديمة تغزوها الحشرات. وأحس فعلا بإنحطاط هذه المهمة، إذ كان عليه أن يبقى سخان المبنى مشتعلا، وأن يكنس الردهات، ويرمى النفـايات فى أكـوام خلف المبنى، وأن يحارب (البق) فى الفراش والقمل من رأسه. ولا يهم إن كان يكتب القصة أو يقرأ كتابا، فعليه أن يرد على كل من يأتى إلى المبنى وكل من يطلبه من السكان.

ولمدة سنتين كـان على فـريدار أن يخـالف كـبـرياءه

ويقاسى من الخجل والإهانة هنا. فى وضح النهار كان يُخرج القمامة بهدوء، ينظف المدخل ويكنس السلالم، لم يتنهد ارتياحا ويستحم.. ثيابه التحتية كانت ممزقة لدرجة أنه عندما يذهب إلى قاعة الرياضة فى الجامعة، كان يختبئ فى ممر مظلم ويخلعها بعجل.. قميصه كان ممزقا حتى إنه لا يخلع معطفه إلا أمام نيولا، واستمر فى ارتداء نفس البذلة ثلاث سنوات.. كذلك نيولا.. لم يكن لديها الكثير لتلبسه.. ملابسها التحتية كانت تصنعها من أكياس الطحين.. جواربها، ما عدا زوج واحد، كانت من القطن، ولم يكن لديها قبعة...

بإمكان فريدار أن يشترى ما شاء من ملابس له ولزوجته لولا أنه كان يشترى الكثير من الكتب، فالرغبة فى اقتناء الكتب كانت تستحوذ عليه، وغالبا ما يذهب إلى دكان بيع كتب مستعملة ويقلب فيها إلى أن يجد ما يشتريه.. وعندما يصل إالى البيت يحتضن كتابا عزيزا عليه.. يشعر بما ارتكبه، فهو لا يملك ما يكفى لشراء الكتب.

وكان فى هذه المسألة يتصرف كالأطفال دون أن يشعر أبدا كم أن نيولا محتاجة أو يفترض للحظة أنها تظن به الجنون. كان يحلم بنفسه فى مكتبة عظيمة له،

والكتب من حوله، يقرأها ويفتش فيها عن طريقة للحياة نظيفة وجيدة.

وكان فريدار فى ذلك الخريف يقرأ ليلا ونهارا تقريبا.. وكل كتاب كان يزيد من شوقه وتوتره. كل كتاب كان يوضح له أكثر أن مؤلفه بنفسه لم يكن سعيدا. وجلس فريدار يزيد على يومياته:

(منذ ثلاثة أشهر انتهيت من دراسة الديانات.. والآن انتهيت من الماورائيات وما خلف الطبيعة) وزهقت من هراء الأعذار والمذاهب الصوفية ومن وفرة الأيمان اليهودى الباطنى..

وقرأت أيضا ما قاله الرجال عن النساء. ديكر يقول أن فيهن خداع أكثر مما فى الجحيم.. وميرديت يقول، أسألوا عن معلومات تفيدكم كيف للبراءة والوساخة أن يمتزجا.. والنساء هن أسوأ الحاكمات على النساء. إنهن ينظرن إلى أنفسهن بأنهن الكاملات..

اليوم وبالصدفة اطلعت على اللعنة التى رماها اليهود على سبينوزا:

بكل عقوبات الملائكة.. بكل أحكام القديسين..

نحن نعلن ونلقى الحرمة، ونطرد ونصب اللعنة على باروش سبينوزا، باسم كل الكتب المقدسة، وباسم الستماية والثلاثين وصية المكتوبة فيها.. باسم جوشوا.. وجيوشو ولعنة اليزا على أولادها..) ولكننى لم أستطع متابعة القراءة: فقد جعلتنى أتقيأ. مثل هذه اليانة هى قيح وروث العالم...

وأنا الآن أقرأ لماركس.. إنه رجل عظيم ونبيل.. وما عدا هذا الضوء الشاحب الذى ألقاه ماركس أمامى، لم أجد شيئا بعد فى الكتب أن يغذى أفكارى..) .

هذه الملاحظات كتبها فى يومياته بتاريخ أو تشرين الثانى.. وعند حلول عيد الميلاد.. خذلته عيناه.. وغاص فى اليأس..

عيناه منذ زمن كانتا تسببان له الما فى الرأس.. ولقتل هذا الألم كان يتناول الأسبرين، إلى ما يقارب الأربعين حبة يوميا فى بعض الأحيان.. وأخذت بقع سوداء تترائى له وكأمنها البكتريا تحت المجهر، وعندما يبدأ بقراءة صفحة من كتاب، كان يشاهد الكلمات ثم ظلام دامس، ثم من وسط الظلام تبرز الكلمات نحوه للحظات وتعود تختفى وتصبح ورقة رمادية. وعندما يغمض عينيه كان

يرى دوائر مستمرة من الألوان..

وذهب إلى البروفسور ريد، أستاذ طب العيون فى جامعة (روش) وفحصه البروفسور مع مساعدة الدكتور مونتروس.. وبعد أسبوع كان فريدار يرتدى النظارات، ولكنها لم تنفعه بشئ، فعاد إلى البرفسور ريد ليقول له أنه سليم وقد يكون السبب من أنفه.

وذهب إلى الدكتور سبورجيون، وقال له هذا الأخصائى فى الأنف إنه قد يكون لديه زائدة لحمية فى أنفه، وأجرى له عملية ولكن ألم العينين لم يزول. وعاد ثانية إلى البروفسور ريد، فاستدعى اخصائيين وقال له أحدهم أن السبب ربما يكون من أسنانه وعند طبيب الأسنان خلع ستة منها، ومع ذلك بقيت عيناه كما هى...

ولم يمر أسوأ من ذلك الشتاء عليه.. فأمامه مئات الصفحات فى كمئات الكتب ليتم دراسته ويأخذ درجة الدكتوراة ولكنه لا يستطيع أن يقرأ، حتى فى الصف كان يجلس مغمض العينين ويسجل الملاحظات دون أن يرى... فى الأمسيات، وأحيانا بعد الظهر، كانت نيولا تقرأ له.. كانت تقرأ وهى تعد وجبة الطعام وتعد المائدة وتنظف الصحون.. ومرت أسابيع وأسابيع على هذه الحال دون

كلمـة تذمـر منهـا، وكـان عليـه أن يسـتـمع ويسـجل الملاحظات. ومرت أشهر الشتاء صعبة مريرة، ولثمانية أسابيع، استمع إلى نيولا بكل إخلاص، يستوعب كل قانون على حدة.. ينظر أحيانا بسرعة إلى ما يكتب ثم يغلق عينيه بسرعة ويتذكر فى ظلمتهما..

وتقريبا كل مساء وهو يصغى إلى نيولا.. كان يجرى التجارب على عينيه.. وما أن حل أواخر نيسان حتى حصل على اكتشاف.. لقد استطاع أن يقرأ عبر زجاج ملون، لقد وضع الدخان على زجاج واستطاع أن يقرأ من خلاله.

للعنة.. لقد عرفت ما بى.. عيناى ليس لديهما ما يكفى من المادة الملونة.. فالضوء يؤذيها.. أيمكن أن تتصورى أغبياء مثل هؤلاء الأطباء؟ .. ماذا يتعلمون فى المدارس؟

ومع بعض التمرين والعناية عاد ليقرأ ثانية، وتوقه للرؤية أتعب عيناه مجدداً وعاد إليه ألم الرأس وعاد لتناول الأسبرين. وأصبحت حرارته تخف المستوى بدرجتين، ودقات نبضه أقل من المطلوب، ولم يهتم فقد عاد ثانية إلى مملكة كتبه.

وفى يوم من أويام أخذ يتحدث إلى زوجته بأمر فكر به طويلا:

حبنا لبعضنا حب أعمى وغير معقول.. وسوف يدمرنا إذا لم ندمره. والآن، وعلى الفور اقترح أن نحطمه ونحطم الرباط بيننا ونعطى بعضنا الفرصة لحياة أفضل.. أعنى.. أننى سأتركك.

- أن تفعل بى هذا.

إسمعى يا حبيبتى.. هل سنمضى عمرنا كالأطفال! أم أننا سنستخدم دماغنا؟ نحن غريبان فى غرفة مظلمة.. وهذا أمر رهيب، إنه جبن وعمى أن نحاول العيش معا. هناك رجال يمكن لك أن تعيشى سعيدة معهم. وأنا لن أستمر فى التضحية بك فى سبيل قيم أنانية مجنونة. ولأجل الله لا تصعبى على الأمور!

إذا كان صعبا عليك تركى فلماذا لا تبقى معى؟

أنت لاتفهمين.. لن أستطيع أبدا منحك السعادة.. ولا أريدك أن تعيشى كل حياتك كما عشت السنوات الماضية. حبيبتى كونى متعقلة. دعينا لا نتكلم كالأطفال.. أنا أحبك ولكن لم يكن يجب أبدا أن تتزوجينى. حتى لو عشت فى انتيلوب.

لا! لن اتخلى عن سنة معك لقاء ألف سنة فى انتيلوب؟

صدقا؟ أتعنى هذا؟ أعنيه، وليساعدنى الله!

ولكننى أدرك أننى لست زوجا ولا أبا صالحا.. وعلى أن أختار بين أن أبقى هكذا أو أكون كاتبا.. ولقد قررت.

أتعنى.. أنك ستتركنى؟

أجل..

وركع عند قدميها.

حبيبتى.. لا تصعبى على الأمور! أنا.. سأفعل ما أظن أنه أشجع شئ.. اوه.. نيولا.. أرجوك!

قال هذا فى شهر آب. ولشهر كامل بعده كان فريدار يناقش ويجادل. لكن ما سوف يفعله أو ما يجب أن يفعله، لم يكن قد كون بعد رأيا واضحا فيه. إنه يعلم فقط إنه ونيولا، لا أكثر ولا أقل، ضحيتان لحب أقوى من الموت.. ولأن يدمرا بعضهما، ببطء، وحتمية، فقد بدا له هذا منتهى الجبن. وأقر رأيه بقساوة على أن يوفرلها، كما له، طريقة نظيفة للحصول على الحرية..

وأن حياته تسعى فى قناة مظلمة ضيقة، وتتحرك دون رحمة نحو أكبر أزماتها...

مواجهـــــة

فى الثـانى من تشـرين الأول من ذلك الخـريف شـاهد فريدار مـرة آثن مـارفل.. تلك السنة كـان يعلم قسـمين من المبتـدئين فى الجـامعـة اللغة الأنجليـزية، وكـان مكتبـه فى غـرفة واسـعـة مع المسـاعدين الآخـرين. وكـان ذلك اليـوم جـالسـا على طـاولتـه يقـرأ عندمـا أحس أن هناك عـينان تراقبـانه. فرفع نظره ليلتقى، ولمدة دقـيقة كاملة بنظرات غريبة تحدق به.. ثم تقول له:

ماذا تقرأ؟ كتاب اسمه (شيلى) .

أو تحب كتابة (شيلى) .

أجل.. وأنت؟ كثـيرا. نظمـه رائع فى (اليسـتـر) عندمـا يقول: صوتها كان كصوت روحه، سمعه بهدوء التفكير).

ونظر إليـهـا فـزيدار وهو يفكر بهـذا النظـم.. لقـد قـرأ الكتاب عدة مرات ولم يكتشف جمال هذا البيت من الشعر.

من أين أنت. من (فازار) وأنت؟

من جامعة (واساتش) .. ما هم الشعراء الآخرون الذين تحبينهم؟

كينس، براوتنغ، ميلتون، دانتى، كاتولوس.

ميلتون؟ إنى أكرهه.

لماذا؟ إن له ضمير واسع ومريض مثل المستشفى، ما هى القصيدة الأنجليزية المفضلة لديك؟

لم أفكر بهذا أبدا .. وأنت؟

لست أدرى أظنها قصيدة (سانيارا) .

سانيارا .. أحبها.

وكان هذا كافيا .. فهذه أول امرأة يعرفها، وحتى هى، تحب هذه القصيدة الرائعة..

بعد ظهر اليوم التالى تحدثا ثانية، ثم الذى تلاه.. وبعد أسبوع قام فريدار بعمل مذهل.. فقد رمى كل شكوكه إلى الريح وكتب لها رسالة، قص لها فيها قصة حياته وزوجه والتعاليم التى تلقاها على يد أمه وهو طفل. وروى لها عن حسنات زوجته وصبرها عليه، وكيف أنه ممزق ما بين أن

ينتحر أو ينفصل عنها. وقال أن الواجب هو فلسفته فى الحياة وأنه يكره الرجل الذى يهجر عائلته. ولكنه يكره بشكل مماثل الرجل الجبان الذى يقبل بالتضحية بنفسه.. وختمها قائلا:

(حسنا.. هذا يكفى.. أنا أسعى لصداقتك، وأؤمن أنك حساسة بما فيه الكفاية لتنهى مشكلتى، التى واجهها الملايين من قبل أن أولد. وإذا شعرت أن ما قلته هو مجرد شكوى عاطفية، فأصدمينى بقوة.. ولكن ليس لدى سوى حياة واحدة أعيشها، وهى قصيرة، ولا أريد التخبط كالأعمى فى هذا التطهير النفسى الذى لا ينتهى وليس له القوة أن يتطهر) ...

وكان ردها كما توقعه فريدار تماما:

(أقبل صداقتك على أساس الروح التى عرضتها بها على.. وأنا أيضا أجد الحياة لا معنى لها.. وأنا أيضا أسعى لإخلاص يستحق الأحترام.. ولكننى فى الكتب لا أجدها)

وهذا ما كان فريدار يتمناه.. فهو لم ينظر إليها أبد، لا خلال تلك الفترة ولا للأسابيع التى تلت، على أنها امرأة.. كانت روحا، مثالا.. رمزا يخلو من اللحم والدم كما العالم

نفسه. كل ما يحتاجه شخص شريف يمكن أن يضع ثقته فيه.

وهكذا عاش لثمانية أسابيع، يهزه أمل وقوة جديدان.. يشعر بأشعة شمس صافية وثابتة تنير طريقه.. ولكن لا يمكنه أبدا أن يبقى إلى الأبد يسكر من الشعر والمثل العليا. وهكذا مرت بهما النشوة الأفلاطونية، ووجدا أنفسهما واقعين فى الحب.

فى الحقيقة البسيطة، لم يكن فريدار يحب آثين بالمرة: إنه يحب تلك المثل التى جعلها عقلة نموذجا لها. وخلط بين الحبين. وحتى بعد أن أحس بها كامرأة، وليس مجرد روح، وأن علاقتهما لم تكن افلاطونية بحتة، استمر فى عبادته الرومانسية للمثال. وأدرك بعد ثمانية أسابيع، أنها ترغب فى أن يقبلها، وأحس بكراهية لهذا.. ولكنه حدث فى ليلة فى ردهة البناء الذى تسكنه.. فقد عرف من الطريقة التى نظرت فيها إليه أنها تريده أن يقبلها.. فقال:

هل لى أن أقبلك؟ إذا رغبت.

صوتها كان مدهوشا ومتألما.. وأعطاها قبلة تفتقر إلى أى عاطفة، وأحس أنه أهان صداقتهما. عدا أن مجرد التفكير بها كامرأة جعله يشعر بعقدة ذنب تجاه نيولا.

فقد كان مصمما، قلبا وروحا، أن يكون مخلصا لها. وكان قد أخبرها عن آش، وعن ما يتحدثان به. كان يأمل.. وفى هذا كان مخلصا فى أمله.. أن يرى نيولا سعيدة.. وقد أدرك أنها لن تكون سعيدة معه ولن تكون أبدا. وصحيح أنها لا تبدو أكبر ليوم واحد مما كانت عندما تزوجها منذ ست سنوات. فى أجمل ثيابها تبدو مذهلة الجمال: ليس هناك أى تجاعيد حول عينيها ولا حول فمها. وعندما يفكر بها بين ذراعى رجل آخر، فى منزل آخر، كانت الغيرة تتصاعد فيه حتى تحرقه.. ولكنه كان يحطمها..

وهذه الشكوك هى التى دفعته للكتابة إلى شقيقه مارتيل، الذى يسكن الآن بالتيمور، ليشرح له الوضع: (إن هذا هو واجبى كما أراه، وإذا لم أكن مخطئا فهذا يكفينى) ورد عليه مارتل باختصار: (لقد كنت دائما أعتقد أنه زواج غير حكيم، وإذا كانت لديك الشجاعة، فأظن من الأفضل أن تنفصل عنها.. ولكننى لا أظن أن لديك الشجاعة الكافية) .

وهذا ما أنهى المسألة.. ولم يعد هناك شئ ما بين

البحر والسماء يمكنه ايقاف فريدار عما ينويه.

لقد خرج هذا الرجل من كابوس الوحدة.. من ثمانية وعشرين عاما من العذاب والظلام.. وأحس بضياع نفسه، وبكل مثله ملقاة خلفه كذكريات رهيبة. دون مرساة أو نور. ولا زال يرفض الإعتراف بحقيقته وحقيقة أمثاله: الخرافات والمكر والجشع كلها متنكرة بزى الأهداف النبيلة... كل الباطل يدعى ما هو ليس فيه.

وبدل أن يتقدم بجسارة نحو الحقيقة، تراجع عنها بازدراء. فقد قرأ ويأتى له المعنى متجمعا فى النور، وقد يتعلق بلحظة مريعة من الواقع بأن حبه لنيولا لا يزال يضج فى دمه وقلبه..

وذات مساء قال لآثن:

يجب أن تعلمى أن هناك شخصيتان مختلفتان تتملكانى، الأولى ساذجة تؤمن بالجنس البشرى وتسعى نحو ما يدعى الجمال والحق. ولكن الثانية.. أتعلمين ما هى؟

لقد رأيتها ولا أعتقد أننى أعجبت بما رأيت.

إنها واقعية ساخرة، إنها تعرف ما هم البشر وتنظر إليهم بروح العالم.. الأولى ترى الجنس البشرى مع

القديسين، يحاربون ليستعيدوا جنتهم. والثانية ترى فراخا مختلفة من أنواع القرود المتوحشة فى قلوبهم.

ألا تحب شخصيتك الثانية أبدا.

ليس كثيرا.. فهى لا قلب لها.

وعندما كانت تتملكه هاتين الشخصيتين معا كانتا تدفعا به إلى المواجهة والعنف والحقد، ويأخذ بلعن نفسه وتمنى الموت. وفى هذه الحالة تصبح نيولا مذعورة منه.. وكذلك آثن.. ولا واحدة منهما تعرف ماذا تفعل معه، فهو كان يرعبهما معا. فبين هاتين الشخصيتين لم يكن هناك صداقة ولا سلام، إحداهما منطوية فى ظلام المثل العليا والأخرى فى ظلام السخرية.. وكان مستحيلاً عليه أن يكون صادقا مع نيولا وآثن معا ومع نفسه فى آن واحد. وصدقا.. كان يتمنى ذلك، ولكن السبل أمامه للوصول كانت ضائعة.. وليس بمقدوره سوى أن يسير فى هذه السبل كالأعمى، ويترك الأسابيع تبنى الأزمة أمامه.

وحلَّ شهر كانون الثانى.. واصبح معلوما فى القسم أن فريدار وآثن قريبان جدا من بعضهما.. كانا يجلسان معا فى غرفة الصف، وفى المكتبة، وفى غرفة المطالعة،

وفى الردهات. وشاهد فريدار هذه المعرفة فى عيون مدرسيه.. عيون متسلية وعيون مشفقة، أو مليئة بالشك.. وكتب إلى آثن:

(أعتقد من الأفضل أن لا نلتقى.. ومن هذه الفترة الفاصلة يمكن أن نخرج بإدراك أوضح عما يجب أن نفعله.. وسأقبل بحكمك.. إذ يجب أن نقرر ما هو أشرف شئ نفعله..) .

وردت عليه آثن:

(أعتقد أنك على حق. إذا تقابلنا أقل أو لم نتقابل بالمرة، فسوف نرى بوضوح أكثر.. أفضل شئ نستطيع فعله) .

وهكذا مر شهران نادرا ما التقيا خلالهما، ولكنهما كان يكتبان لبعضهما الرسائل الطويلة، وكانت هذه الرسائل تسجل كل شكوكهما ويأسهما ووحدتهما وكفاحهما ليكون صادقين.. موضوع واحد كان فريدار يكرره على الدوام: من الجبن أن يتخلى عن عائلته.

معظم عذاب فريدار، وهذا أمر صحيح، عاطفته الشديدة.. لولديه، فقد ولدت نيولا له صبيا آخر. إنهما أقرب إلى قلبه مما قد يعترف به.. ولكنه بين فترة وفترة

كان يفصح عما فى قلبه.

ولأسابيع عرف فريدار أن آثن لديها شكوك به، وتردد. كان يعلم أنها تتمنى لو لم تتعرف به.. وهذه المعرفة ملآنة باليأس ولم يعد يناقش مسألة الحكمة أو الشجاعة أو حتى الصدق، فى تركه لعائلته والعيش معها.. إلى أن قادته شكوكها إلى سؤال. ففى أعماق قلبه رؤيا لمثال أعلى فيها ولا يرغب أبدا فى أن يتراجع عنه. لقد كتبت له فى رسالتها الأخيرة تقول:

(لقد آن الوقت لى كى أقف على قدمى لوحدى.. منذ تقابلنا كنت دائما تسندنى وتقودنى وتشجعنى.. ولكن.. اللعنة.. عندما أفكر بولديك أحس بالصدمة والأرتجاف.. وإذا كنا نناضل معا بهذه القوة فلا بد أننا على حق ولكن من بإمكانه الحكم علينا؟ هذه مسألة لن أستطيع تسويتها فى بضعة أسابيع، ولا حتى فى بضعة أشهر..) .

وأعاد قراءة الرسالة، إنها نوع من الوداع. وخرج بعد ظهر ذلك اليوم العاصف عارى الرأس دون معطف، ودخل محلا ليشترى زجاجة خمر، وشربها ثم اتجه غربا إلى الحديقة العامة.. وأخذ يتجول هناك طوال الليل.. الثلج

الرطب بلله وأحس بالبرد، فعاد ليشترى زجاجة خمر أخرى ليحس بالدفء، وهو يقطع الشارع صدمته سيارة وتركته فاقد الوعى وكأنه الميت فى الشارع.. وعندما أفاق وجد نفسه فى بركة ماء موحل، وقال فى نفسه (أنا بخير.. السكيرون لا يموتون..) .

وكان الفجر قد بدأ يطل. فدخل دغلا من الشجيرات ليخلع ثيابه ويعصر الماء منها وينشفها فى الريح عندما شاهد آثن.. وكانت تركض نحوه.. ونظرت إليه بقلق، وأمسكت به، وعرفت أنه مبلل، فتأوهت من الحزن ووضعت رأسها على صدره المبلل ثم صاحت:

لقد عرفت! لقد عرفت إنك فى الخارج طوال الليل..! أوه يا فريدار!

ما بك؟

قل لى ماذا جرى؟ لا شئ.

هل هى... ؟ أخبرنى؟ لا..

شكرا لله! إذا ما الأمر؟

لا شئ.. كنت أتمشى فقط.

وطوال الليل..! لقد عرفت!

وكيف؟ لقد عرفت.. أحسست بالأمر. لم أستطع النوم.. اوه لقد اعتقدت إنك قتلت نفسك!

اوه.. صحيح؟

واعتقد.. لقد كنت خائفة..

واستدار نحوها. ونظر فى عينيها.. وفهم. لقد فهم ما رآه فى نظراتها.

هكذا إذا! لقد اعتقدت إننى قتلت نفسى! ولذلك خفت.. خفت أن تكتشف إحدى الجرائد رسائلك لى.. أليس كذلك؟ أجل.

فاستدار وتركها، وركضت وراءه، تتوسل إليه كى يقف، ولكنه دفعها عنه وتابع سيره. وأحس بكراهية لها.. إنه لم يخف يوما من الرأى العام.. وليعلم أن آثن، وقد اعتقدت أنه انتحر، قد خرجت فى الليل لتستعيد رسائلها، فهذا نوع من الجبن ليس له علاقة به أبدا.

وذهب فورا إلى مستودع المبنى الذى يسكن فيه، وأشعل السخان ووقف يتدفأ بناره، ويجفف ثيابه، ثم

حمل القمامة إلى الخارج. وعند دخوله غرفته وجد نيولا تحضر الفطار، وعندما نظرت إليه قال لها:

حسنا.. لقد كنت أسير تحت المطر.

لابد أنك وآثن تشاجرتما.. أو إنك وقعت فى غرام امرأة ثالثة.

لا يا عزيزتى.. لقد اقتنعت لتوى إنكن كلكن سواء.

أتعنى أنك اكتشفت أنها ليست أحسن منى.. هذا مؤسف. النساء يعشن مع أحشائهن وبشكل رئيسى مع القسم الأسفل منها.

حقا؟ .. حسنا أنا سعيدة لاكتشافك هذا. إذا كنا كلنا نتشابه فالأفضل لك البقاء معى.

الرجل العاقل لا يبقى مع أى امرأة.. إنه يعيش لوحده.

وبعد ساعة كان فريدار يبعث إلى آثن برساله:

(بالبريد المسجل أعيد إليك كل شئ لك عندى، ولا أريد ما لى عندك. أنت حرة.. لا يمكن أن نستمر معا إذا كان أى منا خائف من الناس.. ولتستمر معى، المرأة بحاجة إلى شجاعة لتواجه أى شئ. ومن الواضح أنك لا تملكين

هذه الشجاعة الوداع وحظا سعيدا) .

وردت آثن:

(سأبقى معك كما كنت معى.. لا أستطيع قبول الحرية التى اعطيتنى إياها، فإذا قبلتها أكون لم أعرف الحب، وأنا أحب. ولدى الشجاعة. وسأواجه أى شئ. لقد حاربت كل خوف فى نفسى وهذا هو ردى: أنا مستعدة) .

وابتدأ فريدار يعطى آثن ما يكفى من الشجاعة لتواجه العالم ولتواجه أية فضيحة. وليلة بعد ليلة كان يتناقش معها أو يضغط عليها، ولكنها بقيت غير مقتنعة. لم تستطع نسيان طفليه ولا زوجته.. ولم تكن لها قساوته وإرادته الصلبة.

هذه المسألة، ليس هو من آثارها، بل آثن، ملئته باليأس والألم. وفى الآف الساعات، وما قد يماثلها من طرق، حاول دفع نفسه ليرى بوضوح ويحكم على إرادته. محاولا إقناع نفسه.

فى أواخر نسيان وصل التساؤل إلى درجة الأزمة. وأخذ فريدار نيولا إلى حفلة راقصة، وكان أحيانا يأخذها إلى المسرح، لأن تعاستها كانت تعذبه. ولكنها الليلة

أغضبته، وكرهها لهذا. وعندما عاد إلى المنزل اتصل بآثن، فقابلته فى الحديقة عند منتصف الليل. وقال لها:

لقد سئمت منها.. إنها حياة بائسة! لو لم يكن لدى أولاد لكنت قتلت نفسى الليلة.. لقد سئمت حياتى يا آثن! لقد سئمت.. وكلما رأيتك يكون معك الكثير من الشكوك. ويجب أن نسوى هذه المسألة بسرعة أو نتودع وننهى الأمر. أقول لك.. لن أستطيع الأستمرار!

وكلمته آثن برقة وهدوء، وتلاشى الألم والمرارة من نفسه بسرعة. وحل مكانهما التفكير الحاد والقاسى. وكره نفسه لأرتباكه، ولكل شئ قاله منذ عشرين سنة ومالم يقله أيضاً وانزعج من كلامها الرقيق، فهو لا يريد الرقة والشفقة، بل يريد الأنتقاد العنيف والعقاب.

– إسمعى، هل ستكونين خنوعة خاضعة هكذا دوما؟ أريد امرأة لها عقل يعرينى حتى العظام وينتقدنى ويساعدنى على الحصول على القوة المشرفة. ألم تفهمى هذا بعد؟

وغضبت آثن، ولم يكن قد رآها من قبل غاضبة.

أنت تحاول أن تنكر ما فعلته بى.. عندما أحاول

نسيان نفسى معك.. تؤنبنى! وأظن أنك لست بمستاهل! اللعنة، أظن أنك تريدنى أن أكون امرأة عابثة.. غاوية.. تتقبل دعوة أى كان!

إسمعى يا عزيزتى، جزء منك يضحك علينا كلينا طوال الوقت. جزء منك، الشاعرة، شديد التوهج والجزء الآخر عياب ساخر إذا تقدمت من الشاعرة حاولت قتل مشاعرى بالإحتشام.. وإذا حاولت التقرب من الجزء المفكر تقولين أن لا عاطفة لدى ولا قلب.. فماذا تريدين منى بحق الجحيم؟ أنت لا تدريدينى عندما تظنين أن بإمكانك الحصول على. أليس كذلك؟ ثم تسخرين من حبك لى وتضحكين..

وعرف إنه لم يكن قاسيا معها بما يكفى.. آش لديها القوة لأن تكون تابعة وليس قائدة، وأدرك الآن أن عليه أن يكون مسؤولا بنفسه ليجد الشجاعة.

واستدار فريدار، مع استعداد آش لأن تكون تابعة، إلى اتمام أصعب مهمة تواجهه.. فعليه أن يتناقش. بمنطق مع نيولا ويقنعها بفلسفة الشجاعة، كما أن عليه أن ينتزع من كيانه هذه الفتاة التى عبدها حبا لثمانية

عـشـر سنة.. وتصـور أن بإمكانه أن يفـعل هذا. وكـان بإمكانه أن يفعل لولا أنه ضائع بين مثله.

وبسبب قوى خارجة عن سيطرته، ودوافع لا تصل إلى ادراكه، دخل فى أصعب وأبشع نضـال له فى حياته. ولم يكن شئ مما حصل معه فى الماضى أصعب من الأسابيع التى تلت. وكان عليه أن يخوض هذه المعركة لوحده، فآثن قد وصلت إلى قرار وهى مستعدة ومنتظرة. وبدا له أن من السـخف أن يذهب إليها بعد قرارها هذا ليقـول أن هذه المعركة تدمرنى، فأنا أريد زوجتى، وأريدك. أريدكما وأحتاجكما معا..

سـاعـة بعـد سـاعـة، تحـدث إلى نيـولا، ولم يسـتطع إقناعها أبدا إنه يحب آثن ويريد العيش مـعها. ولكن فى صـبـاح أحـد أيام حـزيران، اقـتنعت فـجـأة. فـوقـفت عن كرسيـهـا، ترتجف كـما لم يشـاهدها ترتجف من قـبل. ونظرت إليه والدموع تغطى عينيها وبصوت يائس صاحت:

اواه يا حبيب قلبى!

صـرخـتـهـا هذه دخلت إلى قلبـه كنصل السكين.. ليس هناك مرارة، أو ألم فى كل الحياة، قد يماثل المرارة والألم

لتلك اللحظة.. وبحث.. نظر إليها.. وعرف أنها تحبه، ولم يستطع قول أو فعل شئ. لو أنها أزدرته، أو حقرته.. ولكن أن تصرخ هذا الصوت الرهيب النابع من قلبها المحطم.. ولأن يعرف.. بعد كل هذه السنوات من الشك والوحدة إنها تحبه: وأن يكون فى داخله حب يقفز كى يجيب على حبها: هذين الأثنين: من تحابا فى طفولتهما ولا يزالان متحابين.. فى شوق وعاطفة مظلمة رهيبة.. ولم يستطع تحمل كل هذا. ووقف وكأنه جلد بسوط.. وترك الغرفة.

فى تلك الساعة.. وفى الأسابيع التى تلت، وحده الواجب ما جعله يتمسك بالحياة، أراد أن يقتل نفسه، ورغبته هذه كانت عميقة ويائسة. ولو إنه فعل هذا لكان تخلى عن حياته ليجعل هاتين الامرأتين سعيدتين، ولكان فعل هذا بكل سرور، وباستسلام كامل، ولو استطاع أن يفعل، لأعاد الزمن إلى الوراء، إلى تشرين الثانى، ليلغى كل ما حصل منذ ذلك الوقت، ويتابع حياته مع نيولا حتى النهاية.. ولكنه الآن مدين كثيرا لآثن، فهى لا تعرف حبه اليائس لنيولا. ولا تعرف بصراعه اليائس الآن. لقد علق بين قوتين لا يستطيع فهمهما ولا التغلب عليهما.. من جهة: حب غير معقول، واقتناع بالواجب، والشجاعة من جهة أخرى..

حب حتى الموت

بعد تلك اللحظة، اللحظة الوحيدة طوال كل سنواتها مع فريدار والتى وقفت فيها عارية الروح.. انكفأت نيولا إلى السخرية. وكان هذا سلاح دفاعها وفريدار يعرف هذا، وأخذ يصلى كى يساعدها هذا السلاح.

لقد قلت لك أننى لا أستحق حبك.. لقد آن الآوان لتعودى إلى رشدك.

لقد عرفت الآن! يا الهى! لقد عرفت هذا طوال الوقت! أنت من طينة وسخة رخيصة!

اعترف بهذا... فأنا نذل فى أعماق قلبى.

أشعر بالأسف عليها.. المسكينة الغبية! أود أن أقابلها وأخبرها بعض الأشياء.

أتمنى ذلك. فلو كرهتمانى كلاكما فلن أعترض. ولكن لا تتقاتلا، فأنا لا استاهل.

أعلم.. ولكن لا تخف، مساقول لها فقط الحقيقة وسنصبح أصدقاء. أنت لا تستاهل حب امرأة.

أعلم.. لقد قلت لى هذا ألف مرة.. هل ستتزوجى ثانية؟

بالطبع.. وهل تظن أن قلبى سيحطم لأجل بيضة فاسدة مثلك. أتظن هذا؟

سأتزوج رجلا شريفا فى المرة القادمة.

ونظر إليها وهو يتخيلها بين ذراعى رجل آخر. وكان عليه أن يقاتل غيرته الغاضبة.

– أى رجل تشائين طالما يكون لطيفا مع ولداى. فلن أدع أى إنسان يسئ إليهما.

– إسمع هذا من شأنى.. سأختار الرجل الذى أريد. فأنا لم اختر المرأة التى أردتها أنت. فلماذا تختار أنت زوجى وأنا لا أختار زوجتك؟

أنا من اختاره لك! دعينى آخذ الأولاد وبإمكانك اختيار أى رجل كان.

لا.. لن تفعل.. الأولاد سيبقون معى.

إذا يجب أن يكون لهما زوج أم يحبهما. افهمى هذا، أنا أعرف أزواج الأمهات.. ولن أسمح لأى ابن عاهرة أن يضرب ولدى.

وهنا تصل نيولا إلى السؤال القديم:

إذا كنت تشعر هكذا فلماذا لا تبقى معنا؟

لم يحاول فريدار قط إبعاد نيولا من علاقتها بالجيران.. ربما تحتاج إليهم إلى صداقتهم خلال الليالى التى لا يكون موجود فيها. ولكنه أحس بالغيرة التى أصبحت كالكابوس له فى منامه.. كان يحاول بكل قواه وشجاعته أن يحرر نيولا ويتركها تذهب فى طريقها.. كان يحاول يائسا فى كل ساعة أن يخرجها من قلبه ومن حياته، وأن يبنى حياة بدونها، ولكن كل جهوده كانت هباء.

وخلال تلك الفترة كان جبانا مع آثن، على الرغم من كل ما حاول أن يفعل، وعانت منه بصبر، وانتظرت، ولكنها فى ليلة من ليالى حزيران الأخيرة تكلمت بواقع العذاب الذى فى قلبها:

ماذا تعنى يا فريدار بقولك الخجول بأن هذه ليست

ليلتك لتنام فى الخارج؟ أنت تبدو ككلب يثير الشفقة، لك رباط مزدوج: طرفاه معى ومعها. ألا تدرك أننى لا أريد ايماءات الحب والتخفى الحقير؟ المصيبة فيك أنك فقدت الأقتناع بأنك على حق. وحتى تستعيد هذا الحق فلا فائدة باستمرارنا هكذا. فأمامى حياة واحدة لأحياها. بإمكانى البقاء معك دون الحصول عليك، وبإمكانى ترك وستبقى دائما معى.. وأنا لا أريد أن أتعذب أكثر، لا أريذ، أقول لك لا أريد! .

ولكننى أريدك. أنت لا تريدنى..

أنت تخدعنا معا، أهذا بسبب أننى لست جميلة كزوجتك؟ لقد سئمت يا فريدار.. خذنى أو اتركنى. قلبك معها، ولا أظن أنك تلاحظ هذا.. يا إلهى.. أتظن أن ليس عندى كرامة؟ أحاول أن أكون منصفة معك وكريمة، ولكننى لن أكون غبية. والأمر أصبح هكذا: لقد تحولت عنى وعدت إليها.

لا..هذا غير صحيح! غير صحيح!

ولكنه كان كاذبا، ويعرف إنه كاذب. لقد عاد إلى نيولا، ولقد وقع تحت سيطرتها وكأنه شئ قد وقع فى الفخ.وعلمت هذا. ومنذ أسبوعين بدأت العمل فى مقهى

حـــديث فى المدينة.. ولم يعــد فـــريدار الآن يذهب إلى المدرســة، لذا فـقـد اهتم بالطفلين. كـانت تقـبض تسع دولارات فى الأسبوع وتتلقى أكثر من هذا كاكراميات، وتصرف كل ما تحصل عليه.. كانت تشترى أدوات الزينة وأدوات تسريح الشعر، واشترت أوابا غير غالية الثمن حتى امتلأت خزانتها بها. وابتاعت القباعات حتى أصبح لديها سبعة. كانت تضع (الروج) على خديها وشفتيها، والكحل على عينيها ورموشها. وتتعطر، وترش البودرة على جسدها وثيابها. وكان فريدار يرى كل هذا ولا يقول شيئا. لقد شعر أن ليس له الحق لأن يتكلم.. وهى الآن تعامله بازدراء ملطف.

كانت تخبره عن رجال يتقدمون لها فى المقهى، عن رجال يعطونها إكراميات سخية، عن رجال يتوسلون إليها لأعطائهم قبلة أو أن تذهب معهم إلى الريف بعد العمل. وعن رجال لحقوا بها إلى المنزل.. وكان فريدار يضج بالرغبة لأن يصبح معولا:

(أزيلى هذه القـذارة عن وجـهك! أنت زوجـتى وهذا بيتك. !) ولكن ليس من حقه أن يقول لها هذا.. لقد حاور وتآمر ولكن هذه الفتاة المشرقة المتأنقة كانت تبتسم له

بسخرية وتقول:

الوداع يا عزيزى.. ربما سأعود إلى المنزل.

ثم تسخر منه وتربت عليه مشفقة.. ويلوذ بالصمت ولا يتفوه بأية كلمة. ولكن.. صباح أحد الأيام.. وقد رآها جميلة جدا. ودافئة، ومليئة بالحيوية والأنوثة، أراد أن يأخذها بين ذراعيه ويقبلها فتراجعت عنه وقالت بسخرية لاذعة:

إذهب إليها يا عزيزى.. هى حبيبة قلبك الآن!

وفريدار، الغبى المثير للشفقة بين قوتين، وقف عاجزا دون حراك ونظر إليها فسألته نيولا تتظاهر بالأهتمام!

هل انتما متخاصمان؟ لا.

وهل سئمتما من بعضكما بهذه السرعة؟

إذهبى الى الجحيم.

أظن أنك قلت إنها متوسطة العمر؟

لم أقل هذا أبدا.

حسنا.. لقد رأيتها بالأمس، إنها صغيرة كفتايات المدارس المسكينة السخيفة.

وأين شاهدتيها؟

هذا شأنى، فأنا أرى الكثير من الأشياء.

تعنى الكثير من الرجال؟

بالطبع.. وسيدهشك عدد من يموت لينام معى.

الكثير من الرجال قد ينام مع أى شئ.

اوه. لست أدرى. أتظن أننى أبدو سيئة لهذه الدرجة؟

واستدار مرات ومرات على أكعاب حذائها العالى وابتسمت له، وتابعت:

بالنسبة لأمرأة لديها طفلن.. لا يمكن أن أبدوا أجمل من هذا يا حبيبى.. ألا تظن هذا؟

وقمع فريدار غضبه وغيرته، وتركها تفعل ما تشاء. وكان مقتنا الآن إنها لم تعد تحبه، وأنها تريد أن تتركه. وهذا كله غلطة منه. ولا الآن.. ولا حتى بعد فوات الآوان، أدرك أبدا، إنها تحاول يائسة، على طريقة المرأة، أن تتمسك به. وهذا، بشكل أكيد، جزء من دوافعها.

ومرت الأيام، ليجد فريدار نفسه إنه أكثر ضياعا وعجزا.. ونيولا، الملكة ذات الجمال المستبد، تتملك كل أفكاره. وكان من الصعب معرفة كيف يمكن حل تلك

المعركة لولا تدخل رجل آخر فى تلك الورطة.

كان المانيا يدى هنريخ تيم. ولمدة أسبوعين كانت نيولا تتحدث عنه وتقول إنها ستتزوجه عندما تحصل على الطلاق، ولم يشاهده فريدار.. ولم يفعل شيئا طوال الأسبوعين.. كان يجلس والغيرة تتآكله يفكر بذلك الرجل.. أراد أن يقتل نفسه، أراد أن يقول له (أنا أحب هذه المرأة كما لن تحبها أبدا فكن طيبا معها أو سأنتزع قلبك) كانت نيولا تخرج مع جارتها كات، ولم يكن يعرف أين تذهبا.. ولم يسألها أبدا. وبعد أن يتعب من اللعب مع الطفلين، ومن محاولة قراءة كتاب، كان يجلس طوال الأمسية ورأسه بين يديه يستمع إلى دقات الساعة.. لم يكن يسألها عن شئ أبدا، كان يقول لنفسه (هذا ليس من شأنى.. سأكون عادلا معها..) ولكن أتى يوم.. لم يعد يحتمل المزيد.. فانفجر كالمجنون.

عاد بعد ظهر أحد الأيام باكرا إلى المنزل ليجد نيولا هناك مع جارتها كايت وهنريخ تيم.. وكان تيم يلعب على آلة (الغيتوريلا) التى اشتراها فريدار لنيولا. وكانت كايت تستمع بهدوء إلى نغمات موسيقى (دريم دارى) وكانت

نيولا تجلس على أريكة قرب النافذة. وعندما دخل فريدار بدى على نيولا الأجفال. ونظر إليها وإلى تيم، ثم دخل إلى المطبخ، ولكنه لم يمكث هناك فعاد ليقف عند الباب وذراعاه معقودتان على صدره ينظر إلى تيم.

ولم تقدم الرجل له، وكانت فى اللحظة تبتسم لأنكليزية تيم المسكرة.. وفى اللحظة الثانية يبدو عليها التوتر، وتجفل وكأنما يد قد لامستها. لقد دخل تيم إلى الغرفة واستقر فيها وكأنه يعيش هنا وكأن نيولا زوجته، وهذا كله لاحظه فريدار على الفور، كذلك لاحظ أن الرجل كان متكبرا وفظا، نكته كانت كلها داعرة بذيئة، وضحكته المرتفعة ضحكة الراضى عن نفسه... وغاص قلب فريدار.. كيف سيقدر أن يتخلى عن نيولا لمثل هذا الرجل.

إنه نفس النوع من الرجال الذين طالما مقتهم: رجل فارغ لا يحب سوى نفسه.. غروره بنفسه يثير العجب. كان يلعب على (الغيتوريلا) ويتحدث فى آن.. أو يقفز ليرقص بضع خطوات.. أو يتقدم من نيولا وكأنها ملك له، وكأنها ربطة عنقه أو حذائه. سخافته كانت تضحك نيولا.. ما عدا بضع لحظات كانت تلتقى فيها عيناها بعينى فريدار.

وأصبح على يقين الآن مما كان يشك فيه، فتيم ونيولا على علاقة معا، وأخذت هذه المعرفة تغوص في نفسه شيئا فشيئا إلى أن أصبحت المعرفة الوحيدة في ذهنه. ولكن كان هناك الشخصية الثانية في نفسه تهمس في أذنه (إنها لم تفعل سوى ما فعلته أنت وآش) وأحس إنه قد وقع في ظلام غامر، ليستعيد كل ما عاناه وهو طفل وشاب صغير. وقفز عذابه أمامه الآن كالمجنون العنيف، وتملكه وكأنه رجل على وشك الموت.

وما أن خرج تيم وكايت حتى دخل الغرفة حيث جلست نيولا لوحدها. ووقف أمامها، يرتجف، يقاوم أعصابه، وينظر إليها دون أن يراها بوضوح:

إذا لقد سلمته نفسك. لم أفعل!

ألا زلت تكذبين علي. بعد كل هذه السنين لا زلت تكذبين؟

أنا لا أكذب!

بل تكذبين نيولا. أرجوك لا تكذبي. لقد كذبت كثيرا.

ووقف والفزع يلمع في عينيها وحاولت أن تواجهه، ولكنها لم تستطع.. فعادت للغوص فوق الأريكة ترتجف. وتقدم فريدار إلى جانبها وقال

نيولا.. لا تكذبى.. لقد منحته نفسك. حسنا! وماذا لو فعلت؟

لا شئ! ولكن أن تعطى نفسك إلى نذل مثل هذا، وأنت لا تحبينه، لو كنت تحبينه لكان اختلف الأمر. ولكن أنت، الفتاة التى أعبدها، تعطى نفسها بهذا الرخص. فليلعنى الله، أوْ فلأموت وتطعم جثتى للذئاب.. أنت من أموت لأجلها تكون رخيصة هكذا، شعرك.. قدماك أغلى من حياتى وتصبحين وكأنك عاهرة عادية... ولكن ليس لى الحق أن أتكلم أو أردعك.. أنا أقول لك كان من الأفضل أن تقتلينى.. لو أنك اخترت رجلا محترما.. رجلا يستحقك..

ولم يعد يستطيع النظر إليها.. لقد ضاعت، وضاع هو ولم يعد يعى بأنه فى الغرفة يتحدث إليها. ليس هناك أى معنى لما يجرى، وهو وهذه الفتاة معا فى صمت هنا. وكل ما من حوله حيث لا معنى له سوى عينيها.. إنه فى (انتيلوب) يركع أمامها يتوسلها أن تقول أن الأمر غير صحيح.. وهو فى (ايداهو فولز) يستلقى معها فى السرير ووجه مدفون فى شعرها، وقلبه فوق قلبها، ثم أحس أنه لوحده فى التلال الرمادية يستمع إلى رنين جرس البقرة: كل سنواته الماضية برزت أمامه فى لحظة.. وترنح.. واستدارت الدنيا من حوله وأصبحت سوداء، فوقع أرضا

دون حراك.

عندما استعاد وعيه كان يستلقى فى سرير فى الغرفة التى ينام فيهال لوحده. ربما مارتيل من ألقاه هناك.. لقد جاء مارتيل منذ يومين وابتسم له بإشفاق، أو أن جاره البرت من وضعه هناك. وجلس فى الفراش يتساءل كم من الوقت الآن، وما إذا كانت نيولا نائمة فى الغرفة الأخرى. وسار على رؤوس أصابعه إلى غرفة نيولا وشاهدها نائمة.. فتقدم منها وركع قربها.. ثم قبل شعرها المفرود فوق الوسادة ثم قبل إحدى يديها. ونظر إلى ولديها: إنهما نائمان.. ومضت ساعة وهو راكع هناك، ينظر إلى وجه نيولا ويقبل شعرها ويتساءل لماذا حبه لها عمق هكذا. ثم عاد إلى غرفته وجلس على سريره ووضع وجهه بين يديه.

ووقف أخيرا ليخرج إلى الردهة، يتحرك ببطء.. ماذا سيفعل؟ كل ما يعرفه إنه ينوى قتل عائلته ثم قتل نفسه.. ولكن كيف؟ وفتش عن سلاح.. ليس لديه مسدس ولا يمكن له استخدم السكين.. ونزل إلى المستودع.. قوة أقوى من إرادته كانت تقوده وأخذ يطيعها وكأنه طفل.. ووجد هراوة، ولكنه لن يستطيع استخدامها.. فعليه أن

يقتلهم بطريقة سريعة ونظيفة، دون دم أو ألم، ثم إنه بالهراوة لن يستطيع قتل نفسه. وعاد بسرعة يفتش الغرف الفارغة فى البناء يبحث عن مسدس... ثم عاد إلى غرفة نيولا لينظر إليها.

وارتدى ثيابه وخرج من البيت يسير فى الشوارع. وأخذ يحدق بالبيوت.. أيتن يسكن تيم يا ترى. بدا له الآن أن عليه قتل تيم.. ولكنه علم أنه لن يستطيع قتل هذا الرجل.. وعاد إلى غرفته وجلس، وتمنى لو أن معه مسدس.

وكان ضوء النهار قد بدا يظهر، ودخل الحمام ليضع رأسه تحت الحنفية ويترك الماء البارد ينصب فوق رأيسه ومؤخرة عنقه، ولكن ما الفائدة.. أراد أن ينظر فى المرآة ولكنه لم يجرؤ: إنه خائف من عينيه. وخلع كل ملابسه، وجلس إلى عمق وسطه فى مغطس ما بارد. وانزعج.. ففتح الماء الساخن ولكنه لم يحس بالحرارة. لم يستطع أن يعرف أيهما الماء البارد وأيهما الساخن وجفف جسده ثم ارتدى ثيابه وهو يفكر أين يمكن له أن يجد مسدسا.

وعاد إلى غرفته ليجد نيولا تحضر الأفطار. فجلس على كرسى ينظر إليها.. وشيئا فشيئا، أخذ الصبر ينفذ.. وأصبح رجلا مجنونا.. وبدأ يرتجف.. حتى إنه

وقف، وبدأ العرق يتصبب منه وأصبح وجهه وكأنه القماش المبلل.. وصاح بها بصوت يرتجف كما جسده:

إسمعى! طفلاى لا يمكن أن يذهبا معه. وسوف يبقيا معى!

وكانت نيولا قد تراجعت لدى صراخه، ولكنها الآن رفعت رأسها إلى أعلى، وكأنها أفعى الكوبرا تستعد للوثوب، وتقدمت منه؛ وقالت بصوت رنان وعيناها تقدحان غضبا وكرها:

لا تستطيع أخذ أولادى منى! سأموت أولا! عليك قتلى أولا!

وواجهها فريدار بغضب أقوى من غضبها:

ولداى لا يمكن أن يذهبا معه!

وحدقا ببعضهما.. وانهارت نيولا وذهب عنها الغضب مرهقة. وغاصت بضعف فى المقعد، وتكلم فريدار بمرارة ويأس:

لثمانية عشر سنة أحببتك! لقد كنت غبيا.. غبيا! لقد وضعتنى فى الجحيم! ولكن ولداى سوف يحصلا على حياة شريفة.. وأنا أعنى هذا ولو اضطررت لارتكاب جريمة! لن أدعهما يذهبان مع تيم!

وصمت لفترة وهو ينظر إليها ثم تابع:

إذا أردت الذهاب معه، إذهبى.. ولكننى سآخذ طفلاى وأعلمهم، حتى ولو اضطررت إلى تكريس نفسى لهما.. ولكنها لن يعيشا أبدا مع ذلك الرجل.. وهذا أمر نهائى! كل هذه السنوات كنت مقيدا إليك بسلاسل! لم أستطع الذهاب مع آثن! والآن.. أنت.. أنت قلب حياتى.. سلمت نفسك له دون حب، دون شرف، دون كرامة، وأنا ذاهب الآن فهذه هى النهاية!

واستدار ليفتح الباب الخلفى ويترك المنزل.

ولم يبتعد أكثر من أربعين ياردا عندما سمع نداء اسمه، صاحت: فريدار! وكانت صرختها رنانة مجنونة، فتوقف وكأنما أصيب بضربة. واستدار... كانت تقف قرب الباب الخلفى وتبدو وكأنها ملكة غريبة جملية مجنونة.. وفى يدها اليمنى المرتفعة عاليا.. زجاجة وبينما هو واقف مسكمر مكانه ينظر إليها صاحت (انظر!) ثم ابتلعت كل ما فى الزجاجة.. وبأيماءة مترفعة وكريهة، دحرجت الزجاجة نحوه فاستقرت عند قدميه.

وللحظات طوية وقف دون حراك.. وكله شك.. لا يعرف ما إذا كانت قد اجترعت السم أم أنها تدعى... واستعاد

وعيه فجأة.. فأمسك بالزجاجة وشمها، إنها رائحة (اليمول) فرماها من يده وقفز نحو المنزل وفتح الباب بعنف، وتقريبا فى لحظة كان يقف أمامها وهى تجلس على مقعد، وذراعاها مطويتان على صدرها وعلى وجهها ابتسامة غريبة. يا إلهى الكبير! نيولا!

وقفز من الغرفة إلى السلم الخلفى يقفز السلم ست درجات دفعة واحدة وعندما وصل إلى الطابق الثالث صرخ:

مارتيل! تعال بسرعة.

ثم عاد ينزل السلم بنفس السرعة ووصل إلى باب شقة (هادوك) وصاح:

هادوك.. بحق الله! تعال.. تعال بسرعة!..

وبأقل من عشر ثوانى كان يواجه نيولا ثانية.. كانت تجلس كما تركها تبتسم.. وذراعاها مطويتان فوق ظهرها.

يا إلهى الكبير.. نيولا!

الدقائق التالية كانت كالكابوس له.. وأصبح رجلا مجنونا فقد كل اتصال له بالحياة.. كان الجُنون من حوله فى رأسه وفى قلبه.. وكان واضحا كذلك، حادا ومؤكد مثل نصل الشفرة. كان يعلم ماذا يجب وماذا سيفعل..

ومع ذلك لم يكن يعلم شيئا. وقفز إلى الخزانة وأخرج زجاجة خمر وقبل أن يدخل مارتيل كان قد صب منها فى فم نيولا. ثمّ قفز إلى الخزانة ثانية وأخرج بضع بيضات كسرها فى وعاء.. وصب الحليب فوقها وأخذ يخفق البيض والحليب بيده، وأمسك بنيولا وصب الخليط فى فمها ووصل الآن جاره البرت وأخيه مارتيل. ولكنه لم يحس بوجودهما فكل كيانه كان مركز على نيولا وكان يحثها على المقاومة.

وأخذ العرق يتصبب منه.. وكأنه يسيل من جسده وذراعيه ويبلل ثيابه.. فمه كان رطبا وشاحبا وكأن لا دماء فيه. وعيناه ضائعتان. وأخذ يصيح:

حبيبة قلبى.. أرجوك! بحق الله.. أرجوك أرجوك!

ولكنها لم تكن راغبة فى مساعدة نفسها وأحس بالذعر. لم تقاوم محاولاته لمساعدتها ولكنها لم تساعده كذلك. وأخذ يركض كالمجنون فى المطبخ يفتش عن شئ يصبه فى جوفها، وأرسل البرت ليطلب الطبيب، وقال لمارتيل: ساعدنى على إجبارها على التقيؤ!

وجر نيولا إلى المغسلة ووضع أصبعه فى حلقها

وفشل، فدس خرقة فيها زيت فى فمها وهزها، وأخذ يتوسل إليها أن تقاوم. ولكنها لم ترد على جهده وضحكت. ضحكتها كانت مجنونة وكئيبة. مرارتها زادت من رعبه فهزها بكل قوته وتحدث إليها، يتوسل إليها أن لا تموت. وأذاب بعض الصابون فى ماء حار وصبه فى جوفها. وتصاعدت رغوة الصابون من فمها، وهى محنية فوق المغسلة، وهو يصيح بصوت مرتفع فى أذنها...

حبيبتى.. أرجوك ساعدينى.. باسم الله.. أرجوك! سأفعل لك أى شئ! سأكون عبدك! سأتخلى عن الكتابة! عن أى شئ! نيولا.. أنا أحبك، أحبك، أرجوك.. لأجلى!..

وكانت الآن قد بدأت بمحاولة التقيؤ.. ولكنها لم تستطع.. وأخذ قليلا من السمن وصبه فى فمها فابتلعته وعيناها مغمضتين وجسدها يرتجف.

حبيبتى قاومى! لأجلى.. لأجل الله! سأفعل أى شئ!

ورفعت يدها تمسح رغوة الصابون عن شفتيها، وغاصت ترتجف بين ذراعيه، فرفعها وفى هذه اللحظة تكلمت وقالت: ولا.. حتى.. لأجلك.. ولا حتى.. لأجلك.

لو أن الكلمات كانت خنجرا شق قلبه إلى نصفين.. لما

صاح تلك الصيحة الرهيبة.. وأخذ يفتش حوله عن السم.. وهو ينوى أن يتجرعه، ولكنه لم يجد شيئا. فجمعها بين ذراعيه، إذ لم تعد تستطيع الوقوف، وحملها إلى الغرفة الأخرى وألقاها على السرير. وصاح معولا:

أين الطبيب؟ وحملها بمساعدة مارتيل إلى المدخل ثم إلى الشارع، ووضعاها فى سيارة اتجهت بهم إلى المستشفى.. ووصلت بهم السيارة إلى مفترق طريق.. وتوقفت بسبب الزحام، فأخذ فريدار يصيح ويلعن ويهذى.. وما أن سارت بضع مئات من الياردات حتى توقفت ليعلن السائق أن الوقود قد نفذ منه. فقفز فريدار من السيارة وحملها بمساعدة مارتيل عبر الشارع.. وأصبحا شاحبين من الأرهاق ولكنهما استمر هكذا إلى أن وصلا إلى المستشفى. وحملاها إلى الداخل ووضعاها فوق سرير فى غرفة صغيرة وركض فريدار فى الممر يصرخ طالبا طبيبا. إلى أن وجد واحدا:

تعال بسرعة! زوجتى تموت! لقد شربت سم!

فرد الطبيب بحدة: أنا مشغول.

أرجوك أن تأتى معى.. سأعطيك أى شئ! سأعطيك حياتى!

قلت لك أننى مشغول.. وعليك أن تنتظر.

ولكننى لا أستطيع الأنتظار.. إنها تموت.

وتركه ليركض فى المستشفى كالمجنون.. وأخذ العرق يتصبب منه.. وأقبل مارتيل به وقال:

الأطباء يعملون على إسعافها الآن.

أشكر الله.. ميرت.. هل تظن.. لست أدرى.

وقاوم الظلام الذى ساد قلبه وفكره. وحاول أن يتكلم، محنيا لو أنه يقدر على كسر هذا الصمت الرهيب الذى إعتراه... ولم يستطع... كل ما استطاعه أن يبكى ويتأوه..

ثم تقدم منه مارتيل: أصمد يا رجل.

أتعنى.. أتعنى.. ؟ أجل لقد انتهى الأمر.

وترنح فريدار.. فى أعماقه ابتلعته الظلمة، وإلى الأبد.. ووقف لحظات جامدا.. ثم بصرخة مروعة وكأنما أصابته صاعقة. ومن أعماق قلبه، من الحزن الذى كان يصرخ فيه، خرج كل أسى روحه...

الوعـــــد

معظم ما فعله فى اليومين التالين.. وحتى فى الشهرين التالين، لا يستطيع أن يذكره. فقد اقفلت العتمة ذاكرته وضاع. حزنه كان عميقا ودون دموع، دون اسم، غير حقيقى، كشخص يخرج من حجرة الموت إلى المشنقة. إنه نفس الرعب، مركز على هدوء روحى. فبالنسبة له كل العالم الآن أصبح مجنونا. وهو يراه من حوله، ليس كبشر، بل كحركات حيوانات، يستمع إليه كصرخات أو دمدمة لا معنى لها، يتنشق العلم وكأن رائحته (الديمول) .. وكان غارقا فى ظلمة حتى أن الأسئلة التى لم يفهمها لم يطرحها.. وفى غرفة الموتى، فى بيت الموتى واجه زاوية ومحكمة.. ونظر إلى الزاوية والرجال.. وأخرجه مارتيل من تلك الغرفة، وأخذه إلى الفندق، وأمضى هو والبرت ليلتهما معه، يعطيانه الحبوب المهدئة لينام. وجاء مراسلوا

الأنباء، ونظروا إلى فريدار، ولكنهم لم يطرحوا أية أسئلة، وخرجوا بكل هدوء. وفي تلك الليلة.. أم أنها كانت في ليلة ثانية؟ .. تسلل هاربا وفكرة واحدة في ذهنه. وعاد إلى شقته الصغيرة الحقيرة، متوقعا أن يرى نيولا هناك.. ودخل ثم ناداها بصوت منخفض، وعندما سمع صدى صوته على الجدران ظن أنها هنا، وكان مقتنعا أنها هنا، فأخذ يركض من غرفة إلى غرفة، وفتش في خزانة ثيابها ليرى إذا كانت مختبئة هناك، ثم نظر تحت السرير، وعاد إلى الرواق الخلفي.. وهناك شاهد الزجاجة.. فخرج وأمسك بها يشمها.. وعندها فقط وعى بأنها ليست هنا، فأخذ يرتجف وفكرة واحدة في ذهنه. وعاد إلى المطبخ ولا يزال يهتز، وأخذ يبحث عن السم، وفتش بين الصحون في الفرن، في الخزائن وفي الصناديق.. وعندما لم يجد سُمّاً فتش عن سكين.. ولكن السكاكين كلها اختفت.. ثم تركته الرغبة في الموت فجأة كما جاءته. واقتنع أن نيولا لا تزال حية. فعاد إلى البحث عنها في الحمام، وفي المستودع، وفتش عنها في الصناديق وخلف أكوام الورق وخلف السخان. وعاد يتسلق السلم، وفتش عنها في كل الشقق الفارغة، في الغرف. وأخذ يجول من مكان إلى

مكان، يهمس باسمها.. ثم عاد إلى ملابسها يتحسسها ثم يقبلها.. وكان لا يزال يفتش بهدوء ويأس عندما وجده البرت وأخذه بعيدا.

وأخذ مارتيل إلى (منزل الأموات) الرجل هناك كان ودودا ومليئ بالسخرية والكآبة، وخلف منه فريدار.. ثم فهم أن نيولا هنا، في مكان ما، قريبة، وأراد أن يراها. وقال ذلك لمارتيل، الذى تحدث إلى الرجل وقاد فريدار إلى غرفة واسعة وأقفل الباب وراءه، فوقف هناك قرب الباب، وهو يرتجف من قمة رأسه حتى أخمص قدميه، وينظر عبر الغرفة، وشاهد نيولا مستلقية هادئة.. ولم يفهم فناداها (نيولا؟) وانتظر، ثم (نيو؟) وببطء تقدم على أطراف أصابعه نحوها، وعيناه مثبتتان على وجهها.. كانت مستلقية فى ثوب أبيض ويداها إلى جانبها. وفى منتصف الغرفة توقف، وأخذ يحدق فيها، ثم قال مرة أخرى (نيولا؟) ولكن بصوت منخفض كالهمس هذه المرة، ثم عاد ليسير مرة أخرى على أطراف أصابعه.. ووصل إلى جانبها ونظر إليها. عيناها كانتا مغمضتين. وابتسامة ساحرة على وجهها الأبيض، وكانت نفس الأبتسامة التى طالما عرفها وأحبها، وكان هناك لطخة

بنية على ذقنها وشفتيها.. وهمس ثانية(نيولا؟) .

ثم سمع صوتا.. وأصغى للحظات، وقد أخذه العجب، وصاح، وكان فرحه فجائيا ورهيبا: (نيولا.. كنت أعلم أنك لست ميتة!) وانحنى فوقها، ينتظر أن تفتح عينيها، وأن تتكلم شفتاها ولدقيقة كاملة انتظر، لا يكاد يتنفس، ثم أحس بالدهشة، وماتت الدهشة لتصبح ذهولا، نيولا لم تفتح عينيها.. ولا تكلمت. وانحنى فوقها أكثر، وأصبح وجهه قريب من صدرها، وسمع داخل جسدها الذى يعبده حبا، والذى يبدو بكل عظمة الآن فى الثوب الأبيض، أصواتا غريبة، كركرة. ولمس يدها بسرعة.. وكانت قطعة ثلج. ثم وقع على ركبتيه وذراعاه ممتدة حول رأسها، كتلة سوداء تحت وجهها الأبيض، وأمسك به وشمه.. كان لا يزال حيا.. فدفن وجهه فيه، يتنشق رائحته وأنفاسه، حتى أحس ثانية وفى أعماقه أنها لم تمت، ولكن عندما رفع نظره إليها لم يشاهد سوى الهدوء الأبيض الرهيب لوجهها وذراعيها. ولمس جسدها ثانية ووجده باردا، وثانية دفن وجهه فى شعرها وأخذ يتنشق الحياة المألوفة من رائحته ويدخلها إلى قرارة نفسه. محاولا بكل يأسه أن يجعلها تعود إلى الحياة كما شعرها

الحى إنه نفس الشعر الذى، ليلة بعد ليلة، كان يدفن وجهه فيه، يتنفس فيه، فى كل سنواتهما المريرة معا، كان معلقا حول رأسها وكان له.

ودق رجل الباب، ووقف على قدميه.. ثم تذكر إنهم أعطوه مقصا، فأخرجه من معطفه، ومن رأسها الفخور قص حفنة سميكة من ذلك الذى لا يزال حيا فيها. ودسه فى جيبه.. وملأ جيوبه به. ثم قبل ذراعها ويدها الباردتين البيضاوين. وفمها المحروق، والرموش فوق عينيها المغلقة، وربت عليها بحنان وقال (نيولا.. أحبك!) وقطع الغرفة نحو الباب، ثم توقف ليلتفت إليها ثانية وكل عذاب نفسه وقلبه انفجر فى صرخة.. وعاد راكضا إليها ولفها بذراعيه وركع أمامه. وخده على خدها البارد.. وكان لا يزال هكذا يركع ويضمها عندما دخل رجلان عليه ليحملانه إلى الخارج.

بعد قليل.. كان فى سيارة مع رجل، تسير بهما عبر المدينة. هل مارتيل معه؟ عندما كان يتذكر تلك اللحظة لم يكن واثقا إنه كان معه. وتحدث الرجل إليه لكن فريدار لم يفهم كلمة مما كان الرجل يقوله. وكان الطقس ذلك اليوم

رطبا ورماديا، والمطر يتساقط، وبحيرة (ميتشان) تهدر بموج رمادى.. وسارت السيارة بفريدار على حافتها وأخذ يحدق بالماء.. فى مكان ما، فى سيارة أخرى نيولا، ولم يستطع فريدار إلا أن يفكر فيها فقط، وحيدة فى نعش بارد، تسير عبر هذه المدينة الرطبة الرمادية، وبهذه المياه الباردة تتلاطم على الجدران والعواميد. ثم تركت السيارة شاطئ البحيرة بعد قليل توقفت.. وخرج فريدار ليجد نفسه فى مكان موحش فيه مبانى غريبة ودخل المبنى مع الرجال، وسمع هديرا ضخما ظن فى البداية إنه صوت البحيرة. ثم عرف بعد أن أصغى جيدا إنه صوت (الأتون) وعلم أنه هنا فى مبنى المحرقة التى يحرقون فيها جثث الأموات. وشاهد صندوقا طويلا وعلى أن نيولا فيه. وتقدم من الصندوق ووضع يداه عليه، وعندما تقدم منه الرجل قال له (أود أن أكون لوحدى معها للحظة فقط) .

وتركه الرجل ووقف فريدار لوحده. ويداه على الصندوق حيث ترقد نيولا لوحدها، وركع فوق النعش ورفع يده ليقسم:

(سأحاول أن استمر وأعمل وأعتنى بولدينا.. سأحاول أن امتلك الشجاعة والقوة. سوف آخذ فرصة لسبع سنوات.. لأننا عشنا معا سبع سنوات. لن أوفر على نفسى شئ وسأكون مخلصا صادقا مع نفسى ومع الآخرين.

وإذا ظننت فى نهاية السبع سنوات إننى فشلت وأن تضحيتك كانت فى سبيل لا شئ، فسوف الحق بك فى الموت. كل هذا يا نيولا.. أقسم له بالحب الذى أشعر به لك.. وأنت يا حبيبتى، أينما كنت الآن، فلتكن روحك معى لتدعمنى)

ووقف مرتجفا، ودخل الثلاثة رجال إلى الغرفة.

– هل أنت مستعد.أجل.

وفتح باب حديدى ضخم، ونظر فريدار بعينين فزعتين إلى غضب النار الحمراء فى (الأتون) وأمسك الرجال بالنعش وتقدم رجلان آخرين ليمسكا به.. وشاهد النعش يلقى فى اللهيب، ورأى الباب الضخم يقفل... وبكل قواه حاول الأفلات نحو الهواء والضوء.. ومن خلفه هدير (الأتون) واللهيب.. وأحس بالغثيان.. فتقيأ، وأمسك به الرجلان وتقدم ثالث ليمسح فمه.. وركب السيارة ثانية لتمر به قرب الشاطئ المعزول، تحت سماء مكفهرة.

والريح يضرب السيارة.. وكان فوق البحيرة على بعد بعض المراكب.. تمر باتجاه الأفق..

وفى نفس فريدار كان صوت الحياة الهادرة، والنار الجائعة، وصدى الباب الحديدى.. وكان هناك مراكب مسجاة، والجنة، ولكن.. ليس هنا.. ليس هنا. فهنا لا يوجد سوى سماء مقفرة وبحر مقفر.. ومطر أعمى يتساقط فوق زجاج السيارة. وشوارع مظلمة. نيولا تسبح إلى السماء الآن.. وهذا جزء من الهجران، وأكبر ستارة لمسرحية حياتهما معا، ولوداعهما. إنها الآن أبعد من أن تطال.. وبأمان.. وهو لا يزال هنا فى الظلمة المؤلمة لهذه الأرض الموحشة. لن يسمع صوتها بعد الآن، ولن يحس بلمساتها.. أبدا.. فى كل الأزمنة الزائلة الأبدية. ولم يستطع فهم هذا الوداع الأبدى الكامل.. ونسى صوت المطر وصوت (الأتون) وصوت البحر. وأحنى رأسه، وغرق فى وحدة لا قرار لها. وتمنى من كل قلبه لو إنه معها فى ذلك اللهيب، أو إنه معها الآن وهى صاعدة إلى السماء...

